IJSSP

المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الثاني – البحث الثالث عشر ( ص: 229 - 253 )
15 – أيار – 2021 م

www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

# [ تقنية الزمن في روايتي حانة فوق التراب وعمان ورد أخيراً للراوئي قاسم توفيق "دراسة تحليلية وصفية]

**إعداد الباحثان:**

**[ د. كوسوبى عيسى]**

**[ عميد الدراسات العليا / أستاذ مساعد بكلية اللغات /جامعة المدينة العالمية / ماليزيا ]**

**[ د. عبد الله صالح عبد الله]**

**[الأستاذ المساعد بكلية الدراسات الإسلامية، قسم اللغة العربية/جامعة برليس الإسلامية/ ماليزيا]**

## الملخص

تعتبر الرواية فنا ذا أهمية في العصر الحديث لما لها من واقعية، ولما تحتوي عليها من حكايات رائعة؛ حيث تستمد أحداثها من الواقع، فتناولها بالدراسة تُعدّ إسهامًا في النداء لتحسين واقع المواطن، وروايات قاسم تعبر عن الواقع وتتحدث بلسان الفقراء والبؤساء، لكن كيف تناول هذه الأحداث وكيف استخدم تقنية الزمن أثناء سرده؟؛ لذا تكمن مشكلة هذه الدراسة في البحث عن حقيقة مزايا تقنية الزمن في روايات قاسم توفيق، وبالأخص في روايتي حانة فوق التراب وعمان ورد أخيراً، والسعي لتسليط الضوء على القضايا الاجتماعية والنفسية بواسطة دراسة تقنية الزمن وعلاقتها بالسرد وأثرها في الأحداث والحالة السيكولوجية التي يعيشها المواطن، وتوضيح دور كل الزمن وبيان أثره في السلوك البشري، وبيان مدى قدرة الروائي قاسم توفيق على المزج بين الأسطورة والواقع عند تناوله للأحداث الاجتماعية وغيرها. ولقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي عند تناوله للمصطلحات ومفاهيمها وأثناء التعريف بتقنية الزمن وعند دراسة نصوص الروايات وتحليلها. ومن خلال الأسئلة الجديرة بالذكر التي تسهم في فهم الأهداف: كيف استخدام قاسم تقنية الزمن أثناء الحديث عن الشخصيات الرئيسة والفرعية في روايته حانة فوق التراب؟ ولقد توصل الباحث إلى نتائج، أهمها؛ براعة الكاتب في المزج بين اللغة الشعرية ولغة الشارع، واستخدامه للتقنيات الحديثة في تناول الاحداث منها تقنية الاسترجاع بنوعيه؛ الاسترجاع الداخلي والاسترجاع الخارجي، وتقنية الاستباق.

**الكلمات المفتاحية:** تقنية / الزمن / الاسترجاع / الاستباق / السيكلوجي .

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الثاني – البحث الثالث عشر ( ص: 229 - 253 )
15 – أيار – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

## ABSTRACT

The technique of time in the two novels, “Hana ala Turab, and Amman warada Akheeran” by the novelist Qasim Tawfiq, "An Analytical and Descriptive Study."

Novel is an important art in the modern literature, because of its realism and the wonderful stories it contains. Where its events are derived from reality, so their study is considered a contribution to the call to improve the life of the citizen. Qasim expresses the reality and speaks for the poor and the miserable, but how did he deal with these events and how did he use the technique of time during his narration? Therefore, the problem of this study lies in the search for the truth about the advantages of time in the novels of Qasim Tawfiq, especially in the two novels; Hana ala Turab, and Amman warada Akheeran, and the endeavor to shed light on social and psychological issues by studying the technique of time, its relationship to narration, its impact on events and the psychological state in which the citizen lives, and to clarify The role of time and its impact on human behavior. The ability of the novelist, Qasim Tawfiq, to mix between myth and reality when dealing with social and other events. The researcher used the descriptive and analytical method when dealing with terms and their concepts, during the definition of time, and when studying and analyzing the texts of novels. And through the questions worth noting that contribute to the understanding of the goals: How did Qasim use the technique of time while talking about the main and subsidiary characters in his novel “Hana ala Turab? The researcher has reached conclusions, the most important of which are: The writer's ingenuity in mixing poetic and street language, and his use of modern techniques of narration in dealing with events, including retrieval technique of both types internal retrieval, external retrieval, and anticipation technique.

**Key words:** Technique / Time / Recall / Anticipation / Psychology

## المقدمة

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان وألهمه البيان والتبيان، والصلاة والسلام على سيّد البشر؛ النبي الأمي الذي عجزت الأقلام عن وصف فصاحته وجمع بلاغته، ثم الصلاة والسلام على آله وصحبه الغُر الميامين إلى يوم الجزاء والحساب.

أما بعد: فإنّ الأديب حامل لواء ثقافة مجتمعه، فهو (الأديب) بصر المجتمع الحاذق، وعقله الناضج، ولسانه الناطق، يُبصر ما يدور حوله ويفكر في شؤون المجتمع الذي يعيش فيه، ليتناول قضاياه موضحاً موقفه منها، وليبين ما يجب على الحكام القيام به إزاء تلك القضايا بغية الإصلاح، والعمل لتزيين صورة حياة مأساوية وتحويلها إلى حياة مفرحة ومريحة. ولقد لعب الكتاب دورًا بارزًا في نقد سياسة السادة والحكام؛ حيث لجأ معظمهم إلى استخدام الرموز في كتاباتهم الروائية، خوفًا من جور السلاطين، أو خشيةً من عقاب الحكام، كما واجههم البعض بشجاعة من دون أدنى خوف أو خشية؛ فأبرزوا كل ما في ضمائرهم ووُجدانهم تجاه الأنظمة السياسية والقيم الاجتماعية، والتقاليد الموروثة. ويعدّ قاسم توفيق واحدًا من الروائيين الذين سعوا بأقلامهم إلى محاربة التطرف

في الأفكار والإيديولوجيات والأمراض السيكولوجية التي تعرقل التعايش السلمي في المجتمعات، كما تناول في رواياته معظم القضايا الاجتماعية، فهو "قاص وروائي ملتزم بقضايا شعبه ووطنه حتى النهاية، وهو صاحب مشروع إبداعي مثير للجدل، ويلمس القارئ في أعماله القصصية والروائية تلك النكهة التي تعيد الاعتبار للمكان الأردني وتاريخه وشخصياته وحكاياته ضمن بنى سردية متماسكة ومتنوعة زاوجت بين الأسطورة والواقع" (مجلة القدس العربي، قاسم، 7761، 10) والدارس لرواياته يلمس ملامح المدرسة الواقعية فيها. إن الإنسان يعيش في يومه وليله حوادث ويلاحظ ما يجري حوله من أمور وأعمال فمن طبيعته وسجيته أن يكون إما راويا يحكي ما يراه أو كاتبا ينقل الحوادث على قراطيس مثل الرسام؛ لذا يجب عليه أن يختار حروفه وكلماته اختيار الرسام للألوان المتناسبة. فالكل حاك، وليس كل حاك يجيد. والجميع يكتب، وليس كل كاتب يدرك. فالرواية لا بد لها من تقانات تجعلها تظهر بشكل أدبي للقارئ.

## إشكالية البحث

إن لكل روائي وكاتب أسلوبه وطريقته الخاصة عند تناوله لقضايا قومه، يتناولها بجرأة وشجاعة، ولقد تناول قاسم توفيق جل القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في رواياته العديدة، وصور المواطن الضعيف في حارات منبوذة، ورسم قصر الغني الشامخ، كما تحدث عن المشاكل الاجتماعية المتعلقة بالكراهية والحب والخوف والخلاف الفكري بين أبناء مجتمعٍ جمع بين المسلمين وغيرهم، وبين القوي والضعيف، لكن كيف نقل هذه الحوادث؟ وماالتقنيات التي استخدمها؟ لذا تكمن إشكالية هذه الدراسة في البحث عن تقنية الزمن في روايات قاسم توفيق، وبالأخص في رواتيه: حانة فوق التراب وعمان ورد أخيراً، والبحث عن تطلعات الزمن بين الماضي والحاضر في تلك الروايات، وعن أسلوب الروائي وكيف سلط الضوء على تلك القضايا الاجتماعية والنفسية، بواسطة دراسة الزمن في رواياته، والوقوف على المستوى اللغوي لدى الشخصيات الروائية، وبيان نفسيتها السيكولوجية.

## أسئلة البحث

بناء على هذه الإشكاليات المطروحة آنفا، فإن الباحث يسعى إلى الإجابة عن التساؤلات الآتية:

1- كيف استخدام قاسم تقنية الزمن أثناء الحديث عن الشخصيات الرئيسة والفرعية في روايته حانة فوق التراب؟
2- كيف تناول قاسم توفيق تقنية الزمن في راية عمان ورد أخيرا؟

## أهداف البحث

من أهداف هذه الدراسة السعي إلى إبراز ما يلي:

1- توضيح دور الزمن وعلاقته بالسلوك البشري، وبيان مهارة الروائي قاسم توفيق على المزج بين الأسطورة والواقع عند تناوله للأحداث الاجتماعية وغيرها.
2- تلسط الضوء على مزايا تقنية الزمن في في رواتي عمان ورد أخيرا وحانة فوق الترب لقاسم توفيق.

## أهمية البحث

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها

1- تسلّط الضوء على دور الزمن وعلاقته بالسلوك البشري، وبيان مهارة الروائي قاسم توفيق على المزج بين الأسطورة والواقع عند تناوله للأحداث الاجتماعية وغيرها.
2- كوها تظهر مزايا تقنية الزمن في في رواتي عمان ورد أخيرا وحانة فوق الترب لقاسم توفيق.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الثاني – البحث الثالث عشر ( ص: 229 - 253 )
15 – أيار – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

## منهجية البحث

سيستخدم الباحث المنهج الوصفي خلال الحديث عن المصطلحات ومفاهيمها، وخلال الحديث عن تقانة الوصف، الذي يشمل كلا من وصف الزمان والمكان في النص. والمنهج النقدي عند الحديث عن اللغة ومستواها البنيوي؛ حيث سيبين الباحث تقانات لغة الكاتب والشخصيات في النص ناقداً البنية اللغوية من حيث المنولوج (monologue) والديالوج (dialogue) وغيرهما من الأساليب اللغوية، كما سيتم استخدام المنهج التحليلي عند الوقوف على بصمات الكاتب في رواياته. وكما أنه لا يخفى على أحد صعوبة تحديد الظواهر الإنسانية في الأعمال الأدبية فإن الباحث سيتطرق إلى استعمال المنهج الوصفي التحليلي عند الحديث عن بعض أعمال الكاتب وثقافته كما سيتناول نفس المنهج (الوصفي التحليلي) أثناء دراسته للظواهر السياسية والاجتماعية.

وسيسلك الباحث المنهج التاريخي خلال الحديث عن الظواهر السياسية والأمور الاجتماعية عند الكاتب الروائي قاسم توفيق، للربط بين نصوص الكاتب وعصره، وللربط بين انتاجاته وبيئته، فالمنهج التاريخي سيساعد الباحث على الوقوف على حقائق بيئة الباحث ومجتمعه "فمعرفة التاريخ السياسي والاجتماعي لازمة لفهم الأدب وتفسيره، وكثيرا ما يستحيل فهم نص أدبي قبل دراسة تاريخية عريضة، والكتب صدى لما حولها من الأمور، ونحن معرضون للخطأ في فهم وتقدير آراء الأدباء وأخيلتهم ما لم نلاحظ صلتهم بعصورهم" (ماهر، 1962) وليتناول الباحث آراء الكاتب والروائي قاسم توفيق في رواياته، ثم يقوم بتحليلها أدبيا ونقديا يلزمه سلك المنهج التاريخي، لما لهذا المنهج من أهمية ومكانة في الدراسات الأدبية والاجتماعية والسياسية.

## حدود البحث:

**الحدود الموضوعية:** تنحصر هذه الدراسة في روايتي حانة فوق التراب وعمان ورد أخيرا للراوئي قاسم توفيق، وقد يتطرق الباحث إلى غيرهما من روايات قاسم توفيق إلا أن التركيز سيكون على تينك الروايتين. وللروائي قاسم توفيق العديد من الروايات ومجموعات من الأعمال القصصية، إلا أن الباحث سيركز على الرواتين المذكورتين

**الحدود الزمنية:** صدرت رواية "عمان ورد أخيرا" سنة (1992) ملادية، ورواية"حانة فوق التراب" و "صخب" سنة 2015 ميلادية؛ لذا يمكن القول إن الحدود الزمنية منحصرة في التسعينات إلى 2015 غير أن أحداث الروايتين تمتد إلى يومنا هذا

### مصطلحات الدراسة:

**التقنية**: جمعها تقنيات وقد يطلق عليها تقانة وجمعها تقانات، وأصلها من تكنولوجيا technology بالإنكليزية؛ التي تتكون من كلمتين techno بمعنى الاختراع والابداع و"logy" التي تعني العلم أو المعرفة، يمكن القول من هنا إن معنى كلمة التقنية هو علم الاختراع. الكلمة مشهورة جدا في عالم الاختراعات، حيث تعني الكلمة صناعة الوسائل والأدوات لتسهيل نمط الحياة، أما في مجال النقد الأدبي فالتقنية عبارة عن الأساليب الحديثة المستخدم في كتابة الفنون الأدبية، أو المهارة التي تسهم في الإنتاج الأدبي، حيث تساعد التقانات التميز بين الاسترجاع الداخلي والاسترجاع الخارجي والاسترجاع المزجي، كما تساعد على الوقوف ومعرفة الفروق بين أنواع الأزمنة المتفرقة والأمكنة الشتى في رواية واحدة ( oxford dictionary of English 2010)

**الزمن الطبيعي**: هو الزمن العام وهو المعروف بالزمن الموضوعي يتم تحديده بالطبيعة وآثارها في الوجود والكون، ندركه في الماضي المخزن في الأذهان والأفكار، كما نجده في الحاضر الذي به نقيس أعمالنا اليومية والأحداث خلال السرد. فهو ذلك الزمن الذي يمر مرورا عاديا، وليس له رجوع إلى الخلف أو إعادة إلى الوراء، له عناصر التحديد

المعروفة، فثلاثون يوما يساوي شهرين واثنا عشر شهرا يساوى سنة، وعشر سنين يساوي عقدا، ومائة عقود يساوي قرنا، وطول اليوم معروف، وهو من شروق الشمس إلى غروبها، فهذا هو الزمن الموضوعي أو المعروف بالزمن الطبيعي. ويصعب لباحث في موضوع كتقنية وصف الزمن تعريف الزمن الطبيعي أو تحديده موضوعيا "لا يمكن تحديده عن طريق الخبرة، إنما هو مفهوم عام وموضوعي، أو يمكن تحديده بواسطة التركيب الموضوعي للعلاقة الزمنية في الطبيعة، إنه مفهوم الزمن في علم الفيزياء الذي يرمز إليه بحرف ((ز)) في المعادلات الرياضية" (هانز، 1972م)

**الزمن المتواصل**: يعني به بداية العالم وديمومته واستمرارية الكون وجريانه الأبدي الذي ليس له رجوع، فلا يمكن اللحاق بماضيه، ومستحيل إرجاع ما مضى منه. هو الزمن السرمدي الذي لا يمكن لأحد تحديده، فهو قديم قدم الوجود، وعمره عمر الكون والعالم. ولقد عرّفه عبد مرتاض كالتالي "ويمكن أن نطلق على هذا الضرب من الزمن: ((الزمن الكوني)) أيضا؛ إذ إنه الزمن السرمدي المنصرف إلى تكوين العالم، وامتداد عمره، وانتهاء مساره حتما إلى الفناء (عبد الملك، 2005م)

**الزمن المتعاقب**: هو الزمن الذي يدور حول نفسه، كما أشار إليه عبد الملك (2005) ودورانه متكرر في وقت معين، وهي الأوقات التي تدور حول بعضها مثل المواسم المتكررة في أزمنة متعاقبة في جريها، ومتشابهة في أشكالها، فمظهر الربيع في السنة الماضية هو نفسه في جميع السنوات، لذا يمكن القول إنه زمن متعاقب، ومثله الشتاء والصيف والخريف، وهي أزمنة جميعها متشابهة الأشكال ومتكررة في مختلف المواسم، وهو نوع من أنواع الزمن الطبيعي

**الزمن المنقطع**: هو الزمن الذي يقضيه كل حي أو كائن في مكان معين أو في دولة معينة، وهو الزمن الذي يختص بكل كائن أو شيء في وقت محدد، كالفتن التي تحصل والحروب التي تقع، فإن أزمنتها منقطعة حصلت في أوقات معينة، وليس لها رجوع

**الزمن النفسي**: هو الزمن الذي يقاس بالنفس والوجدان والشعور، ويتم تحديده بالأحوال النفسية والحالات السيكولوجية التي يمر بها الشخص، ويتطلب معرفة حقيقته دراسة الأحوال النفسية والحالات السيكولوجية التي تعيشها الشخصية في الرواية. مثلا طول الليل لدى الشخصية العاشقة بجنب حبيبتها سيختلف حتما من طوله لدى شخصية تعيش في منطقة حرب وتعاني من فتن أو لدى شخصية تعاني من مرض. وعلى منوال الزمن النفسي يتم تحديد **الزمن الغائب**، ويقاس هذا الأخير بنتيجة سلوك الناس ومدى وعيهم وشعورهم وفهمهم للوضع والواقع؛ ففهم الصبي للزمن سيختلف حتما من فهم الكبير، فالصبي والمريض النفساني لا يكادان أن يميزا بين الأمس والغد، وكثيرا ما قالا غدا يعنيان به الأمس، أو العكس (عبد الملك، 2005م)

## الدراسات السابقة.

**تقنيات السرد في النظرية والتطبيق**، للدكتورة آمنة يوسف. ط 2، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات للنشر، 2015م؛ تتكون دراسة الدكتورة آمنة يوسف من تمهيد وثلاثة فصول، يحتوي التمهيد على لمحة تاريخية عن مفهوم الرواية وعن مفهوم السرد ومكوناته وأساليبه؛ حيث تناولت الباحثة مختلف أنواع عناصر الرواية؛ من الزمان والمكان والشخصيات واللغة والحوار والحدث، وفي الفصل الأول تطرقت إلى الرؤية السردية، فتناولت أنواع الرواية والمصطلحات النقدية، وأقسام الرؤية السردية، وبينت التقنيات الفنية التي تتكون منها مكونات السر: الراوي والمروي والمروي له، وفي أقسام الرؤية السردية تناولت العلاقة بين الراوي والشخصيات الروائية، ومنها الرؤية من الخلف والرؤية مع، والرؤية من الخارج؛ وفيه تكون معرفة الراوي أقل من معرفة الشخصيات،

وتحدثت كذلك عن الرواية بضمير أنا المتكلم، أو أنا المشارك في الأحداث حيث يصبح الراوي وكأنه أحد الشخصيات الرواية بل تبدو الرواية كسيرة ذاتية. وفي الفصل الثاني تناولت الباحثة آمنة يوسف بنية الزمان السردي، حيث تطرقت إلى مستويات الزمان السردي وتقنيات المفارقة السردية، والتمييز بين السيرة الذاتية والسيرة الموضوعية؛ الاسترجاع الداخلي والاسترجاع الخارجي، والسرد من الخارج أو بضمير الغائب. وفي الفصل الأخير (الثالث) تناولت بنية اللغة السردية حيث ميزت بين اللغة الفصحى واللغة العامية مع الوقوف على نماذج لكل منهما. فتُعدّ دراسة الدكتورة من الدراسات التي غاضت في لب موضوعات الأدب الحديث كتقنيات السرد؛ لذا سيستفيد الباحث من دراستها؛ من حيث الهيكل والمضمون المليء بالمصطلحات الحديثة في ميدان النقد الأدبي.

## تمهيد: نبذة عن حياة قاسم توفيق الثقافية

"هو قاسم محمد توفيق من مواليد جنين بتاريخ 1954/01/27 خريج الجامعة الأردنية بكالوريوس في الأدب العربي سنة (1978) وعمل كمساعد مدير عام بنك القاهرة عمان للتدقيق الداخلي قاسم توفيق (الاتصال الشخصي، 8/25/2015) قاسم توفيق روائي وقاص أردني يستخدم قلمه وحبره في رسم ما يدور في ذهنه أو يعيشه في حياته اليومية على ورقة الواقع، وذلك بلسان راو أو راوية يستنبط شخصيته من الواقع والخيال، ومن الكون والطبيعة، تذكر المراجع أنه من مواليد فلسطين "ولد في جنين فلسطين لعائلة تقيم في عمان وهو الخامس في أسرة مكونة من عشرة أبناء، قضى طفولته وشبابه وما زال يقيم في عمان، درس في مدارسها وأكمل تعليمه الجامعي في الجامعة الأردنية حيث تخرج فيها العام 1978 بدرجة بكالوريوس في الأدب، قاسم توفيق (الاتصال الشخصي، 8/25/2015) لقد تخصص كاتبنا في الأدب العربي والدراسات الأدبية فمن اللازم -ككل متخصص في الأدب- أن يقف على الحب في الأدب الفرنسي وعلى المغامرة في الأدب الإنكليزي كما كشف الفكاهة والكوميديا في الأدب الإسباني ولا ننسى خلال السرد ذكر الشعر العربي الذي يميز الأدب العربي ويجعله يسمو ويعلو على معظم الآداب العالمية، إن الأدب العربي الذي عرفت طفولته الوقوف على الأطلال والبكاء على الديار مرورا بالمنازعات السياسية الدينة التي دارت بين المسلمين وغيرهم من إخوانهم الذين عارضوهم ووقفوا دون دينهم وفتحوا عليهم أبواب الشتم والسب، فكان للأدب دور بارز في هذا الصراع. نظرا إلى أن الأديب مرآة بيئته فإن قاسم توفيق لسان قومه ومرآة مجتمعه وبيئته.

لم يمنعه حبه وشوقه للأدب عن العمل اليومي "فيعمل قاسم توفيق في القطاع المصرفي منذ تخرجه من الجامعة الأردنية وحتى الآن، وهو مساعد المدير العام لأحد البنوك الأردنية" قاسم توفيق (الاتصال الشخصي، 8/25/2015) ولم يتوقف قاسم توفيق عن العمل اليومي ولا عن شغله في القطاع المصرفي بل مزج بين الإبداع في مجال الروايات والقصص و بين السعي لقوته اليومي، وقد ساعده اختلاطه مع قومه وإسكانه بينهم أن يرى ويشاهد ما يمر به الفقير من جوع، وأن يبصر ما يقوم به الغني من تبذير، فاستطاع أن يرسم قضاياهم على قراطيس وألواح بلسان البؤساء والفقراء الذين قد يمنعهم الجوع والعجز عن التعبير، فروايات قاسم توفيق تعتني بقضايا اجتماعية وأخرى نفسية، إن الإنسانية أخذت نصيبها في روايات قاسم توفيق على الدين والعرق إضافة إلى قصص حب تحارب التقاليد والعادات بل تسعى للقضاء عليها.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الثاني – البحث الثالث عشر ( ص: 229 - 253 )
15 – أيار – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

تقنية كرونولوجيا "وصف الزمن"

## مدخل إلى مفهوم الزمن في الرواية

يختلف مفهوم الزمن في الرواية عن مفهوم الزمن في الواقع لأن زمن الرواية مخلوق وتابع للأحداث والشخصيات، ويمكن اكتشافه في لغاتهم وفي لهجاتهم. ولقد أشار مراد عبد الرحمن مبروك (1998م) في كتابه "بناء الزمن في الرواية المعاصرة" إلى "أن الزمن الروائي هو صيرورة الأحداث الروائية المتتابعة وفق منظومة لغوية معينة، تعتمد على الترتيب والتتابع والتواتر والدلالة الزمنية بغية التعبير عن الواقع الحياتي المعيش وفق الزمن الواقعي أو السيكلوجي أو الفلسفي" فالزمن الروائي عنده عبارة عن تتابع الأحداث في الرواية، كما يُفهم هذا الزمن من التعبير عن الواقع المعيش لدى البطل والشخصيات الروائية، فعند الحديث عن الأحداث، وتناولها عبر تطور الشخصيات، يظهر الزمن، وللزمن قوته في تصوير الماضي، كما له قوته في تخييل المستقبل ورسمه على منصة الحاضر، حتى يتحكم في الإنسان ويظهر مدى قوته في مجتمعه، وكيف تحسن عبر العصور، وخلال الأزمنة "ومن هنا بات الزمن الحاضر قوة جبارة يمكنها التحكم في الإنسان وخبراته وبالتالي تحديد مصيره تحديدا دراميا" (بشير، 23: 2002م) فما الرواية إلا حكاية عن أحداث وقعت في زمن معين، قام بها شخصيات معنية في أمكنة معينة، والزمن أداة لمقياس لتلك الأحداث "يمكن أن تعتقد بأن الزمنية هي إطار فطري في الفكر، فهي تتولد في الحقيقة خلال عملية التلفظ، وبالتلفيظ يتأسس الحاضر، ومن الحاضر يتولد الزمن" (O Ducrot, T.Todoror, 389: 1972) يلاحظ الباحث أن الزمن في الإطار الفطري للفكر يمكن تحديده في داخل النص، وبين الأحداث الروائية، ومدى تلاصقها، كما يمكن تحديده بقياس تطور الشخصيات وتحولاتهم ضمن النصوص الروائية، وهذا ما يعرف بالزمن النفسي. وقد وصل الباحث إلى أن للزمن مفهومين رئيسيين، طبيعي ونفسي، فما المراد بالزمن الطبيعي والزمن النفسي، وهل لهما وجود في روايات قاسم توفيق؟

### مفهوم الزمن النفسي (السيكولوجي)

يتم تحديد الزمن عادة بالأوقات والمواعيد، وذلك بالمقاييس الزمنية المعروفة، فالسنة اثني عشرة شهرا، والشهر إما تسعة وعشرون يوما، أو ثلاثون يوما، أو واحد وثلاثون يوما، واليوم أربعة وعشرون ساعة، والساعة ستون ثانية. لا يخلو الزمن الطبيعي من أحد المذكور، فبه يتم تحديد حياة ابن آدم من أول يوم ولادته إلى موته، بعبارة أخرى هو الزمن المعروف بالزمن الموضوعي؛ فيه يتم تسجيل أحداث حياة ابن آدم من تاريخ ميلاده إلى فناء أجله وقته. أما الزمن النفسي فإنما يتم تحديده بالأحوال النفسية، والحالات السيكولوجية التي يمر بها الشخص، وللوقوف على حقيقة الزمن النفسي الذي يعتبر نتيجة للأحوال النفسية والحالات السيكولوجية، يرغب الباحث في تناول معنى السببية، وذلك لاكتشاف الدواعي التي تسعى في معرفة حقيقة الزمن النفسي، "والسببية (Causality)هي الإيمان بأن لكل ظاهرة (طبيعية أو إنسانية بسيطة أو مركبة) سببًا واضحًا ومجردًا، وبأن علاقة السبب بالنتيجة علاقة حتمية بمعنى أن (A)تؤدي دائما بالطريقة نفسها حتما إلى (B)" (مصطفى، 2009) نعم إن حرف الالف تؤدي بالمنهج نفسه إلى حرف الباء، كما تؤدي دراسة سلوك البطل وحالاته النفسية والاجتماعية إلى اكتشاف زمن الأحداث الروائية، فما تمر به الشخصية في أوقات الحزن والبؤس، سينعكس حتما على زمن يعيش فيه البطل أوقات سعادة وفرح.

يقاس الزمن النفسي بالتجارب الفردية، والإدراكات والنزعات الشخصية، بعبارة أخرى يحدد الزمن النفسي بما يشعر به كل فرد في يومه وليله، يختلف عما يعيشه غيره، فالزمن النفسي ردة فعل شعور شخصي يؤثر في الزمن الطبيعي، وقد يشار إليه بأنه "نتاج حركات أو تجارب الأفراد وهم فيه مختلفون، حتى إننا يمكن أن نقول إن لكل منا زمنا خاصا يتوقف على حركته وخبرته الذاتية" (كريم زكي، 1991م) فمقياس الزمن النفسي هو النفس

والوجدان ووعاؤه العقل والصدر، يختلف طوله وقصره لدى كل شخصية حسب الموقف. لقد كانت الروايات فجر ظهورها تتناول القضايا الاجتماعية والظواهر السياسية التي تمس سكان البيئة وأبناءها، فتصف ظاهر الإنسان والمشاكل التي حلت به، فكانت تركز على الزمن، حيث تسرد الأحداث بتسلسل زمني، زمن البؤس، زمن الولادة، زمن الفقر والغنى، وزمن الموت، ففي تلك الروايات تجد أن البطل يكبر في بيت فقير، ويبدأ بمغامرة الحياة، والسعي إلى السيطرة على ملك، وفي النهاية قد تكون النتيجة إيجابية، وقد تكون سلبية. ظلت الروايات على هذا الشكل برهة من الزمن إلى أن ظهر حديثا تيار الوعي في الروايات المعاصرة، والمعروف أن تيار الوعي هو "التعبير الأدبي عن مذهب الأنانة، الذي ينفي وجود أي واقع خارجي، ويعتبر أن الأنا وحدها هي الموجودة وأن الفكر لا يترك سوى تصوراته"(لطيف، 66: 2003م) وفيها يسعى الكاتب إلى كشف ما هو مكتوم في النفس البشري، كما يسعى إلى إبراز العوامل والدوافع التي تحمل وتقود الشخصيات على فعل بعض المنكرات في المجتمعات، فيسرد الأحداث بتحليل نفسية البطل ومدى نمو وجدانه، معرضا الظواهر الشخصية، والمشاكل النفسية التي تحيط بالشخصيات الروائية، "ونجد رواية تيار الوعي تستغني عن التركيب الكرونولوجي المعتمد على المعايير الخارجية في استمرارية الحركة إلى الأمام، وتتجه إلى المعايير الذهنية حيث تتبع تداعيات الذاكرة" (القصراوي، 52: 2004م) أصبحت الذاكرة والوجدان مقياس الزمن، فبعد أن كان الزمن عبارة عن تلك الساعات والثواني والأيام، أضحى يقاس بالنفس الذاتي، والشعور البشري.

## تقنية الزمن النفسي (الذاتي) في رواية حانة فوق التراب

ظهرت رواية "حانة فوق التراب" في سنة 2015 للكاتب والروائي قاسم توفيق، وتتميز بكونها تبدأ بالوصايا الإحدى عشرة التي يطلع عليها القارئ في مطلع الصفحات الأولى للرواية، وهي وصايا تباشر النفس والوجدان والوعي الإنساني، وصايا تحمل في طيها رسالة إلى أصحاب العنف والغلظة، تخبر الكون أن السلام خير من الحرب، وأن الحرب عبارة عن تقاتل أناس ضعفاء وأبرياء في صالح أناس آخرين مجرمين، غير أن المذكورين في النقطة الثانية لا يذوقون سم الموت، بينما يموت أبناء المجموعة الأولى لأغراض قد يجهلون. أصبحت كلمة التضحية نشيدا وطنيا لكل من يدعي الغزو للحرية أو أراد السعي نحو الاستقلال والتحرير من عدو متغطرس، زعماء أحزاب يقودون أناساً أغلبهم أميون، لا يجيدون الكتابة ولا القراءة، خطباء يبكون ويتباكون على المنابر، يحركون سكاكين البغض والكراهية في قلوب مواطنيهم باسم الدين تارة، ومرة باسم القبيلة، وأحيانا باسم الحرية، غير أنهم يحضنون أبناءهم البيولوجية في حقائبهم خلال تجوالهم، التضحية الحرية الفداء، أنى لهم هذه العبارات وتلك الكلمات؟ وأينهم وذلك الأجر العظيم. في مثل هذه الحالات يكلم قاسم النفوس التي تجد نفسها أمام حالات زمنية صعبة، قدم لها قاسم توفيق وصايا قد تساعد للحفاظ على السلام والتعايش السلمي.

تمر النفس البشرية بأزمنة مختلفة وعديدة، وقد تؤثر هذه الأزمنة في النفوس البشرية وتجعلها أسيرة وعبيدة لمن تثق بهم وتراهم حاملي راية الإنقاذ والنجدة. المشاكل الاجتماعية والضغوطات النفسية التي يمر بها الإنسان: الجوع والعطش، المرض ووفاة قريب، قتل ودمار. لقد عم الباطل وانتشر الفساد في العالم، وهل نلجأ إلى الأسلحة للإصلاح؟

"لا تعبد إلها يقودك إلى الشر.
اقرأ فالكتاب الذي يخالفك أكثر قيمة من الكتاب الذي يوافقك.
أحبب الناس لما هم عليه وليس لما هم لك.
أحسن رعاية الوقت فهو الشيء الوحيد الذي تملكه.

لسانك هو قلبك، فلا تهرق دمه إلا بما تؤمن به.
عود نفسك أن تفرح من أجل غيرك.
عملك ليس طبيعتك. طبيعتك تصنعها أنت.
لا تثق ولا حتى بحواسك، اجعل ثقتك بما تؤمن به.
إن لم تعد تؤمن، تظاهر بالإيمان حتى تنكشف لك الحقيقة.
لتكن حروبك كلها من أجل الحب.
لا تخض غمار معركة من دون أن تكون أنت الفارس"(قاسم، حانة فوق التراب، 11: 2015م)

يخاطب الروائي قاسم في هذه الأسطر المواطن المسكين، الذي قد يقع ضحية للسياسيين أو ضحية لأئمة بقاعات بنيت لوجه الإله المعبود الأحد الصمد، وصايا يجب الوقوف عليها والتأمل في مضمونها وكتابتها بماء الذهب، وحبر الفضة، وتوزيعها على العامة وطلاب السلام في مدارس النشأة. إنه الحب الذي من أجله يكتب قاسم توفيق، والذي من أجله يسعى الباحث، ليكن الحب فوق الأديان والعروق، ليسيطر الحب فوق الأنساب والحقوق، ولا للحواس والعواطف التي قد تقود العالم إلى مصير مجهول، وقد تجذب الكون إلى دمار، لنبني ديار الحب، يعيش سكانها في سلام وهدوء.

من الصعب تحديد الزمن الذاتي، أو الزمن النفسي في حانة فوق التراب، لما فيها من أحداث مترابطة الأطراف، ولما فيها من شخوص كثيري التنقلات والتجوال باحثين عن حياة أرقى وأفضل، ولمحاولة الوقوف على الزمن النفسي يستحسن تناول بعض الشخصيات ودراسة الظروف التي مروا بها وتدقيق النظر فيها لتحديد أزمنتها النفسية والذاتية.

الزمن من العناصر المهمة في الرواية، والزمن عنصر لا يمكن الاستغناء عنه عند سرد حكاية أو قصة أو عند كتابة رواية، الأمر الذي يجعله أهم العناصر الروائية، قد تحكى حكاية، أو تسرد قصة بدون أن يحدد الراوي أو الكاتب المكان، وبدون أن يذكر البيئة الجغرافية للشخصيات، ولكن من الصعب جدا، إن لم يكن من المعدوم الحصول على قصة أو حكاية بدون زمن، قد لا يتم تحديد الزمن الكرولوجي، أو الزمن الفلكي وبعبارة أخرى الزمن الطبيعي، قد لا يتم تحديده بالمقياس الزمني المعهود عليه: اليوم والساعة والسنة، ولكن يمكن إكشاف الزمن من ضمن السرد، ومن ضمن تسلسل الأحداث الروائية" قبل أن أعبدك كنت أعبد الزمان الذي أعيشه وكنت جاعله إلهي الذي لا أعرفه، كنت أمضي أيام العمر مثلما يفعل البشر أنتظر أن أموت بلا توق إلى الموت، إلى أن جئت أنت وغيرت عمري" (قاسم، حانة فوق التراب، 14: 2015م) كان البطل يعيش في زمن ضيق بطيء، يتحرك مشية السلحفاة، كانت الليلة الواحدة بمثابة أسابيع، يعيش في ظلام الاغتراب الداخلي بلا صديق ولا زميل. إنه حياة في الزمن الذاتي المعروف بالزمن النفسي.

ظل الراوي في رواية حانة فوق التراب يحيا ظروفا شاقة، ويعيش أوضاعا صعبة ويمر بذكريات مؤلمة، إلى أن التقى مع قلبه المسلوب، وحبيبته اللطيفة، فتغيرت أحواله، وتحسنت أوضاعه، فأضحى يعيش موسم الأمطار من حياته، "حضورك قلب كل شيء فيّ رأسا على عقب، فلم يكن عمري معك قصة حبّ، كان حياة جديدة عشتها وكأنني قد خلقت مرة أخرى وجئت إلى الدنيا مرة ثانية ومن النقطة الصفر. غيرت فيّ كل شيء فصرت غيري، لا أقدر أن أعرف حتى اللحظة هل كان هذا العمر الجديد الذي وضعتني به مشوقا وساحرا فتعلقت به؟ أم كان غريبا ومثيرا حتى تملكني بحرقة الدهشة والسؤال، فتعلّقت به؟" (قاسم، 14: 2015م) تحولت حياة البطل أيهم عايد الكهلان من كوابيس ليلية كان يعيشها إلى جنة فردوس، وجد فيها متعة الحياة ولذة العيش. عاد الزمن إلى جريانه العادي، وعادت النفس تقيس الأمور كما هي، فبعد أن رغب البطل في الموت وتمناه، أصبح يبتسم وينظر إلى جمال الحياة عبر جمال الحب والعشق، غير الحب حياته، زرع الحب الفرحة والسرور في قلبه، فأنساه مشاكله، ووهب له قلبا يرحم وضميرا يعشق، ووجدانا يعطف على المساكين والضعفاء والفقراء، إنه الحب.

يلاحظ الباحث بعض النقاط في نص الراوي الذي نقل الأحداث بأسلوب السرد الذاتي، ليجذب القلوب والمشاعر تجاه واقع مجتمعه؛ والملحوظ هو أن الراوي عاش مرحلتين من الزمن النفسي.

المرحلة الأولى: زمن بطيء الجري = حياة -حب = عيش بدون حب ولا عشق = حياة في عذاب الجحيم، وحياة في حرارة لظى. كان البطل في ذاك الوقت يعبد الزمن ويتخذه إلهه الواحد المنفرد، عانى فيه البطل من الضغوطات النفسية التي سببتها المشاكل الاجتماعية، إلى أن تمنى البطل خلالها الموت وفكر في الانتحار، أصبح يفضل الموت على الحياة. أخذ يعبد الزمن ليموت مع مروره، الزمن عدو الإنسان في وقت الشدائد؛ في الضراء يتمنى الإنسان زوال الزمن ويرغب في مضيه، كما نجده (الزمن) سببا لفرحة الإنسان في وقت اليسر والسراء، إلا أننا نجد الإنسان في الحالتين بحاجة إلى علاقة تحدد له مسيره، تلك العلاقة التي يتقاسمها أشخاص معينون في مجتمع، يعيش بعضهم مع البعض في بيئة واحدة، أديان مختلفة، لغات عديدة، وأجناس شتى، غير أن المحافظة على البيئة وعلى سلامتها واجب كل واحد منهم، فالعلاقة الطيبة يصنعها كل واحد حسب مصلحته، وأفضل هذه العلاقات ما ولدت تحت ظلال الحب ورأت الشمس في غصون الرحمة والتراحم.

ظلت الثانية تساوي ساعة، والساعة تعادل يوما واليوم في مثابة أسبوع حسب التقويم السنوي للبطل الذي كان يعيش حياة منعزلة عن الحب والعشق والرحمة، إلى أن التقى بنصفه الثاني وحبيبته اللطيفة، فتغيرت حياته، وبتغيير حياته تغيرت سرعة الزمن، فتحول ذلك الزمن البطيء إلى زمن عادي بل سريع.

المرحلة الثانية: زمن سريع يمر مر السحاب = حياة + حب، قلب مفتوح مليء برحمة الحب ورأفة العشق، تحول غضب البطل إلى فرحة، وتحولت همومه إلى سرور، فبعد أن كان يعيش وحده منعزلا عن الناس، يكره الحياة ويتمنى الموت، أخذ يرغب في البقاء ويدعو الله للتمديد في العمر، أصبح لطيف القلب، رقيق الوجدان، رحيب الصدر، رجعت إليه تلك الابتسامة التي كانت لا تفارق شفتيه في الصبا، حاله حال صبي يتجول بين جدران البيت، والبهجة تشمل قلبه نتيجة ما أظهره له الوالدان من محبة وعشق "إظهار الحب والمحبة للأولاد يجعلهم رفقاء القلوب ولطفاء الوجدان" ( Development project, 2006) انسان بلا حب حيوان مفترس كثير الضرر. لذا يرى الباحث ضرورة إظهار الحب والمحبة والرأفة بالأولاد والبنات الصغيرات، وتربيتهم على محبة غيرهم من الناس، ذلك لصناع مجتمع مليء بالسلم والتراحم بين أفراد أبنائه.

يمر كل واحد بمراحل مختلفة في حياته نظرا لما يعيشه في مجتمعه، والمجتمعات تختلف بناءً على أشكال الناس الذين يعيشون فيه. إن الإنسان هو صانع مجتمعه وهو البناء الوحيد لبيئته، إذا أراد السلم صنعه وعاش فيه، وإذا أراد عكس ذلك تجاهل كل الوسائل التي قد تساعده في بناء السلام في مجتمعه، وسعى في خرابه وتدميره بيده، ثم تراه يرمي غيره بالشتم واللوم. روحة لذة الحياة الراحة داخل النفس، والسلم داخل الإقليم، ولا ندرك حقيقة الأمور إلا بعد فقدانها. لأنه "نحن مصنعون من الفناء... ولا ندرك الأشياء إلا في لحظة فنائها"(مصطفى، في الحب والحياة، د ت) فالنفس تقيس الزمان بمقياس شعوري وعاطفي، كما هو الحال لدى بطل رواية حانة فوق التراب، ذلك البطل الذي كان يعبد الزمان ويتعذب من سيره البطيء، الظالم بآلامه وأحداثه العسيرة، إلى أن طلع فجر المحبة والعشق، فتحول كوابيس البطل إلى ابتسامات.

عاش بطل رواية حانة فوق التراب قصة حب ومحبة مع حبيبته التي غيرت له الحياة، وزرعت السرور والبهجة والفرحة في قلبه، إلا أن مرور الزمن وتحولات الأحداث وتتابعها جعلت الأشياء تسير نحو اتجاه غير المعتاد، فالمعروف "أن الشعور بالزمان عند الإنسان الواعي ظاهرة نفسية أو حدسية تدركها النفس بذاتها ومع ذاتها، ووجودها قبل كل شيء تشعر به وتلحظه بذهنها" (إبراهيم، 181: 1993م) هذا الشعور بالزمن وهذا الشعور

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الثاني – البحث الثالث عشر ( ص: 229 - 253 ) 15 – أيار – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

بمرور الأحداث، والخوف على ذهاب الجميل منها، أو تحولها إلى الأسوأ جعل البطل يخاف ويحزن، فأنشأ ينظر إلى الزمن بنظرة غير السابقة، وبدأ يشعر بثقل هذا الحب الذي يسكن صدره "حاولت أن أثور على نفسي، وعلى الرضوخ لحمكنا ساعة أن اخترنا وقتاً لم يكن أبدًا مناسبًا لأن ننتهي، لكنني فشلت، لم أقدر على إخراجك من روحي أيتها الشريرة بعد أن تلبّستني بما يحيط بي وما كان غريبا عني"(قاسم، حانة فوق التراب، 15: 2015م) ضاق القلب وتضيق من العشق، حيث أصبح البطل سجينا في سجن حب حبيبته، فبدأ يفكر في انقاذ نفسه قبل الهلاك.

يتميز الزمن النفسي في رواية حانة فوق التراب في كونه مندمجا في أفعال البطل، ولم يتم سرده بتسلسل زمني كالتاريخ بل يكتشف خلال النص السردي على لسان البطل، ويعرف الزمن النفسي بالزمن الذاتي، ولبناء تنسيق بين الزمن الذاتي والسرد لجأ الراوي إلى استخدام أسلوب السرد الذاتي "ها أنا القي بمحاولتي الأخيرة، فلا بدّ من فعل ينسيني إياك قبل أن يغلبني العمر وأحملك بين طياتي إلى الموت، وتظلين ملاصقة لي في قبري الضيق، وفي عالمي الآخر، وتضعينني في دوامة أسئلة جديدة وأنا بالكاد استطعت أن أجيب على أكثر هذه الأسئلة سهولة" (قاسم، حانة فوق التراب، 15: 2015م) أدرك أيهم عايد الكهلان بطل رواية حانة فوق الترب أن الزمن خداع وأن دوام الحال من المحال فبدأ يفكر في الأحداث التي تلف به، وينظر إلى الحياة وهي تمضي وتنتهي، والقمر يجري في فلك غير فلك الشمس، والنفس تقيس الزمن بشعورها وعواطفها، إلى أن لاحظ الراوي سرعة جريان الوقت، ومروره بشكل سريع كالبرق، فطفق يخاف على ماضيه، ويبكي على العمر الذي أفناه في زمن حب ومحبة، بدون أن يلقي له بالا، ومن دون أن يعطيه مستحقه ولوازمه.

## المفهوم الطبيعي (الموضوعي) للزمن

بعد الوقوف على المفهوم النفسي للزمن، الذي يتم تحديده بالنفس ومشاعرها، يسعى الباحث في هذا الفرع لتناول مفهوم الزمن الطبيعي. وإذا كانت النفس والشعور تُعدّ مقياسا للزمن النفسي فإن الطبيعة هي التي تحدد الزمن الطبيعي، بعبارة أخرى تعاقب اليل والنهار هو العنصر الأساس في تحديد الزمن الطبيعي، لأنه لا يمكن تحديد الزمن الطبيعي إلا مرورا بهما بطريقة أو بأخرى، لا ننكر أن دون الليل والنهار مقاييس أخرى، إلا أن الجدير بالذكر هو أنه من الصعب تحديد الزمن الطبيعي بدور اللجوء إلى هذا العنصر، فقديما كان الناس يعددون الشهر بالأيام الجارية، والنهار بجري الشمس وتقدير محلها في السماء، بينما يحاسب الليل وطولها بضوء الهلال أو البدر وأحيانا القمر المنير، كل من الشمس والقمر في فلكه يسبح. ولقد لجأ القدامى إلى استخدام الظل والأظلال في تحديد الزمن الطبيعي وكذلك في مقياس طول النهار. وفي ظلال هذا التحديد سمي سبعة أيام بالأسبوع، وأربعة أسابيع بالشهر، واثني عشرة شهرا بالسنة، وعشر سنين بالعقد، وعشرة عقود بالقرن. كل هذه الخطوات والتحديدات من محاولات الإنسان للسيطرة على الزمن، ومعرفة ما يجري فيه، ذلك الزمن الذي خاف منه منذ فجر اختياره ليكون خليفة الخالق في الأرض، وسعى لمحاربته لكي يخضع لمحاسبته.

وعند البحث عن كلمة الزمن في معاجم التراث، وفي الحضارات القديمة والثقافات السالفة، نجدها في قاموس اليونان تعادل chronos، ولكلمة كرونوس عند اليونان قصة، و"لو رجعنا إلى المصطلح اليوناني لكلمة الزمان، فسوف نجد أن كلمة كرونوس Chronos تشير إلى الزمان منذ عصر هوميروس" (أمير، 132: 1980م) ولقد صدر في الحكايات الشعبية اليونانية، ومعتقداتهم القومية أن "كرونوس Chronos إله يخشى على ملكه من أبنائه فهو الذي ينجب الكائنات، ثم هو الذي يقضي عليها" (P.Commelin, 1987) فتحت هذا السقف المخيف، حيث تواجد الإنسان اليوناني، فبالزعم أن الزمان يمتلك الشر والخير، والحياة والموت، إلا أنه (الإنسان) خاف من قوة الزمن، وخشي ديمومته ومفاجئته التي قد تظهر في أي حين ووقت. تلك القوة الزمنية التي قد تحول

صديقا حميما إلى عدو ضروس، وقد تكون سببا في تمرد ابن بار على أبيه فيقتله ويغتصب ممتلكاته. فتحت هذه التهديدات التي لفت بالإنسان اليوناني، جعلته يضطر للّجوء إلى أيون (ملك الحياة) ليحافظ على سعادته في مستقبله، ويوجهه في مسيره الحياتي.

لقد حاول الإنسان تحديد الزمن بدراسته للفلك والعلوم الجغرافية، فدقق النظر في الطقوس، حاسب الأيام وسماها أسبوعا، وجمع بين الأسابيع وأطلق عليها شهرا، ثم عدد الأشهر وسماها سنة، ومن ثمة رجع إلى اليوم وقسمه إلى جزئيات، فجعل منها ساعة، وتحت الساعة تندرج دقائق، ودون الدقائق نجد ثوان، وغرضه في كل هذه التقسيمات السيطرة والتحكم على الزمن، ومعرفة ما يجري فيه، إلا أن الزمن تحداه وتمرد عليه، فظل (الزمن) يؤثر فيه (الإنسان) وفي كل ما يلف به من كائنات، وطفق يقود حياة الإنسان ويحدد له الوجود، فحدد له يوم ولادة، فيه يفرح الآباء والأمهات والأقرباء، وبعده يعيش برهة من الزمن، متغطرسا متواضعا، محسنا مسيئا، والزمن له بالمرصاد، وفي حين غفلته ينتهي الزمن، فيبكي أصدقاؤه ويحزن زملاؤه، ويظل الزمن مستمرا ومسيطرا "فالوجود الإنساني، الوجود الذي يعي ذاته، يتفتح من الولادة إلى الموت ويظهر نفسه في الشرطين التاليين؛ الزمانية ومعرفة الإنسان المسبقة للموت" (هانز، 1972م) ينتهي زمن الإنسان بموته وهلاكه، يقضي الزمن على طفولته وعلى شبابه، وأحيانا قد يقضي حتى على ثروته، فالديمومة للزمن فحسب.

يصعب لباحث في موضوع كتقنية وصف الزمن تعريف الزمن الطبيعي أو تحديده موضوعيا "لا يمكن تحديده عن طريق الخبرة، إنما هو مفهوم عام وموضوعي، أو يمكن تحديده بواسطة التركيب الموضوعي للعلاقة الزمنية في الطبيعة، إنه مفهوم الزمن في علم الفيزياء الذي يرمز إليه بحرف ((ز)) في المعادلات الرياضية" (هانز، 1972م: 11) والمعروف أن حرف ((ز)) يساوي الأعداد الصحيحة في الرياضية، فلذا تم اختياره للإشارة إلى الزمن، الذي يدرك في مفهومه أنه قائم على الصدق والحقيقة "وهو كذلك زمننا العام والشائع (الوقت) الذي نستعين به بوساطة الساعات والتقاويم وغيرها لكي نضبط اتفاق خبراتنا الخاصة للزمن بقصد العمل الاجتماعي والاتصال والتفاهم وغيرها، وخصائص هذا المفهوم في كونه مستقلاً عن خبرتنا الشخصية للزمن، وفي كونه يتحلى بصفة (صدق) تتعدى الذات، وفي اعتباره – وهذا هو الأهم – مطابقا لتركيب موضوعي موجود في الطبيعة، وليس نابعاً من خلفية ذاتية للخبرة الإنسانية" (هانز، 1972م) فالزمن الموضوعي يتم تحديده بالطبيعة وآثارها في الوجود والكون، ندركه في الماضي المخزن في الأذهان والأفكار، كما نجده في الحاضر الذي به نقيس أعمالنا اليومية والأحداث خلال السرد. فهو ذلك الزمن الذي يمر مرورًا عاديًا، وليس له رجوع إلى الخلف أو إعادة إلى الوراء، له عناصر التحديد المعروفة، فثلاثون يوما يساوي شهران واثني عشر شهرا يساوى سنة، وعشر سنين يساوي عقدًا، ومائة عقود يساوي قرنا، وطول اليوم معروف، وهو من شروق الشمس إلى غروبها، فهذا هو الزمن الموضوعي أو المعروف بالزمن الطبيعي.

ندرك أن الزمان لدى عبد الملك مرتاض (2005) أنواع مختلفة، حيث قسمه إلى أقسام عديدة، منها زمن متواصل يعني به بداية العالم وديمومته واستمرارية الكون وجريانه الأبدي الذي ليس له رجوع، فلا يمكن اللحاق بماضيه، ومستحيل إدراكه "ويمكن أن نطلق على هذا الضرب من الزمن: ((الزمن الكوني)) أيضا؛ إذ إنه الزمن السرمدي المنصرف إلى تكوين العالم، وامتداد عمره، وانتهاء مساره حتما إلى الفناء" يعني عبد الملك مرتاض في هذا القسم بالزمن السرمدي الذي لا يمكن لأحد تحديده، فهو قديم قدم الوجود، وعمره عمر الكون والعالم، ولقد عين عمد الملك الزمن المتواصل ليكون أصلا، وبقية الأقسام مجرد فروع.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الثاني – البحث الثالث عشر ( ص: 229 - 253 ) 15 – أيار – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

ومن ثم تطرق عبد الملك مرتاض (2005) إلى القسم الثاني حسب رأيه، والذي يتمثل في الزمن المتعاقب، وهو الزمن الذي يدور حول نفسه، ودورانه متكرر في وقت معين، "وهذا الزمن دائريٌ لا طولي؛ ولعله أن يدور من نفسه؛ بحيث على الرغم من أنه قد يبدو خارجُه طوليا فإنه، في حقيقته، دائري مغلق. وهو تعاقبي في حركته المتكررة؛ لأن بعضه يعقب بعضه، ولأن بعضه يعود على بعضه الآخر في حركة كأنها تنقطع، ولا تنقطع؛ مثل الفصول الأربعة" التي تدور حول بعضها. في هذا القسم إشارة إلى مواسم مختلفة، تتكرر في أزمنة متعاقبة في جريها، ومتشابهة في أشكالها، فمظهر الربيع في السنة الماضية هو نفسه في جميع السنوات، لذا يمكن القول إنه زمن متعاقب، ومثله الشتاء والصيف والخريف، وهي أزمنة جميعها متشابهة الأشكال ومتكررة في مختلف المواسم، وهو نوع من أنواع الزمن الطبيعي.

ويلي الزمن المتواصل والمتعاقب زمنان هما: الزمن المنقطع والغائب، يعني هذا الثالث (الزمن المنقطع) تلك الأزمنة التي يقضيها كل حي أو كائن في مكان معين أو في دولة معينة، وهو الزمن الذي يختص بكل كائن أو شيء في وقت محدد، كالفتن التي تحصل والحروب التي تقع، فإن أزمنتها منقطعة، حصلت في أوقات معينة، وليس لها رجوع. بينما الزمن الغائب -الرابع حسب ترتيب عبد الملك- حيث ذهب "عبد الملك" (2005) إلى أن هذا الزمن نتيجة سلوك الناس ومدى وعيهم وفهمهم للوضع والواقع؛ ففهم الصبي للزمن سيختلف حتما من فهم الكبير، فالصبي والمريض النفساني لا يكادان أن يميزا بين الأمس والغد، وكثيرا ما قالا غدا يعنيان به الأمس، أو العكس' يندرج جميع هذه الأزمنة تحت الزمن الطبيعي، لكونها فلكيا، ولكونها تحُاسب بالطبيعة، فمقياسها: اليوم والساعة والأشهر، ونظيرها هو الزمن النفسي الذي يقاس بالنفس والوجدان والشعور.

**تقنية الزمن الطبيعي (الموضوعي) في عمان ورد أخيرا**

تعد رواية "عمان ورد أخيرا" الجزء الثاني لرواية "أرض أكثر جمالا" وهي إحدى روايات الكاتب قاسم توفيق، تتميز رواية عمان ورد أخيرا بكونها تتناول أحداثا اجتماعية ذات علاقة بأحداث رواية أرض أكثر جمالا، وهي الرواية الثالثة من الروايات الأولى لقاسم توفيق، صدرت طبعتها الأولى سنة 1992، والثانية 2010، ويكمن زمنها في تعاقب أحداثها وتحولاتها. ولقد فتح الراوي تلك الرواية "عمان ورد أخيرا" برسالة قوية إلى مهملي الزمن، نقلا عن الشاعر الفرنسي الشهير جاك بريفر:"

ما الذي تفعلينه أيتها الصبية
بهذه الأزهار اليانعة؟
ما الذي تفعلينه أيتها الشابة
بهذه الأزهار اليابسة؟
ما الذي تفعلينه أيتها المرأة الجميلة
بهذه الأزهار التي تذوي؟
ما الذي تفعلينه أيتها المرأة العجوز
بهذه الأزهار التي تموت؟
أنتظر البطل." (قاسم، عمان ورد أخير، 7: 2010م)

واضح في النص أعلاه بكاء الشاعر على الزمن، حيث استخدم تقنية وصف الزمن للحديث عن تلك الفتاة اللاهية، بل للحديث عن تلك الصبية الجميلة، وهي في وقت الصبا بلا هم ولا غم، تلعب وتمرح لاهية عن مصيبة الزمن، وناسية عن مطرقة الدهر، لقد شبه الشاعر الصبية بالأزهار الجميلة الخضراء، ووجه الشبه بينهما صغر

العمر والتمتع بالجمال ونيل الاهتمام من الناس والناظرين، وبعد قصة الصبية انتقل إلى تناول حالة الشابة التي قد بلغت، وأخذ زمنها ينتهي ويفنى، وقد لعب الدهر بجمالها، فشأنها شأن تلك الأزهار اليابسة، التي لا تجلب رغبة الزائرين، ولا تؤثر في النفوس كما كانت الحال في سابق عهدها. إننا نلمس في عبارات الشاعر خطورة الزمن، ومدى تأثره في الكائنات الحية وغير الحية وحتى في النباتات، وفيها ندرك تلاعب الزمن بحياة تلك الفتاة التي كانت طفلة يانعة لاهية، إلى أن أصبحت شابة ولم تفكر في الزواج، والزمن يمضي ويتعاقب، وهي في انتظار البطل. لعب بها الزمن كما يلعب بالأزهار الجميلة، قضى عليها وعلى جمالها وشبابتها كما يقضي على جمال الأزهار الخضراء المتعلقة بقلوب الناظرين، يوالى زمنها وجمالها يندثر؛ فأفل نجمها وأصبحت مرمية على الطرقات لا يبالي بها المارون ولا الصبيان، جاء وقت العجز، أصبت عجوزا، عجزت عن القيام، لا أحد يحبها ولا أحد ينظر إليها، جاء الأجل، ماتت ودفنت، وانتهى زمنها وانقط أجلها.

الزمن الطبيعي من العناصر التي يصعب تحديدها في الرواية، فالرواية جسد والسرد روحها، وبالزمن يتنفس تلك الروح "فالزمن يتخلل الرواية كلها، ولا نستطيع أن ندرسه دراسة تجزيئية، فهو الهيكل الذي تشيد فوقه الرواية" (سيزا قاسم، 27: 1984م) وهو (الزمن) عليه تسير الرواية، ولا غنى عنها في أي جزء من أجزاء الرواية، لأن الأفعال المستخدمة إما في الماضي أو في المضارع أو في الأمر، وتسير أحداثها حسب التحولات الفكرية والذهنية للأشخاص.

يكمن زمن رواية "عمان ورد أخير" (قاسم، 9: 2010م) في أحداث البطل (أحمد) الذي يعيش ظروفا صعبة، نظرا إلى حاله الاجتماعي. السرد فيها موضوعي، لجأ فيها الراوي إلى الموضوعية في نقده لمجتمعه وبيئته، "تجاوز أحمد صحن الدار" أحمد بطل الرواية، الذي لا يعنيه التاريخ، ولا يبالي بالتقويم السنوي، لأجل الظروف التي يعيشها، ولأجل المشاكل الأسرية والاجتماعية التي يمر بها، لا يشارك حتى في جنازة الأقرباء، "لقد مات أبو عمر ... الدفن اليوم ... ألن تشارك في بالجنازة؟"(قاسم، عمان ورد أخير، 10: 2010م) لا يعنيه الموت ولا الجنازة، ولا يحضر الدفن ولا يشارك قومه فيه، هو منعزل في زمنه يبحث عن الحقائق في الأمور عبر الزمن.

مع كل المحاولات من الرواية المعاصرة للفرار من الزمن الطبيعي، الذي يسير إلى الأمام ولا يمكن له الرجوع إلى الخلف، فإن الرواية الحديثة لم يتمكن من الخلو عن الزمن، لكونه عنصرا أساسيا من عناصر بناء الحدث. ولكنها أصبحت لا تنبني على الزمن التسلسلي كما يفعله التاريخ، وكما هو الحال في الروايات التاريخية القديمة. وللعلم فإن سرد أحداث قوم ما، يتطلب ذكر تواريخ حقيقية تؤكد وجودية أولئك القوم. وتظهر تقنية الزمن الروائي لرواية عمان ورد أخير في رسم الراوي وتحديده أيام عطلة عيد الاستقلال الذي لم يكن بطل الرواية يلقى له بالا "اليوم عطلة، عيد الاستقلال، ويحق لك أن تأخذ إجازة، وأن تراقب المفرقعات تلون سماء الوطن المستقل، ومسيرات العسكر من أول حدود المدينة حتى المطار. وما دام لك الوطن، ولك فيه بقعة بحجمك وحجم كبريائك، يهبط إلى وسط المينة المزدانة بالأعلام وتدلف إلى بار السنيورة"(قاسم، 26: 2010م) في تلك الفقرة جمع الراوي بين الأسطورة والواقع، والمعلوم أن الزمن الروائي خيالي، إلا أن الراوي تناول يوم عطلة، عيد استقلال. ولكل دولة مستعمرَة عيد استقلال، فيه يفرح جميع أبناء الوطن، يحضره البعيد والقريب، يتمثل العساكر والشرطة أمام الجمهور وأمام الحضور، يدعي زعماء جل الدول ورؤساؤها أنه أفضل يوم، وأفضل زمن للدولة، إلا أن الراوي يظهر عكس ذلك، حيث نجد بطل رواية "عمان ورد أخير" في نفس هذا اليوم كان يعاني من مشاكل اجتماعية، وكان تواجهه ظروف شخصية صعبة، فكأن الراوي في هذه السطور يرسل رسالة إلى الحكام الذين يعتنون بالشكليات بينما يعيش معظم أبناء الوطن جحيما في بيوتهم، منعزلين بل محرومين عن نعيم الدولة.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الثاني – البحث الثالث عشر ( ص: 229 - 253 )
15 – أيار – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

قدم الراوي الزمن بتقنية الوقف pause، حيث لجأ إلى وصف الزمن في يوم معين ومهم في الدولة. وعلى هذا النهج نجد الراوي في رواية "عمان ورد أخير" (قاسم، 10: 2010م) يصف الزمن، ويظهر أهميته للقارئ، ويبدي سلبياته على حياة البطل وعلى حياة بقية الشخصيات في الرواية، "ستكف عن الدهشة منذ الآن، العالم يمشي مسرعا، والسرعة تتجاوز عوالم كثيرة مشتتة، ولكنها متحققة. كف منذ اليوم عن التساؤل، وابحث بنفسك عن الإجابة، ولا يوجد أي وقت لأي شيء يا مروان. إنها الحركة وحسب" (قاسم، 26: 2010م) يصف الراوي الزمن ويبين سرعته، ويحض على الاهتمام به، والمحافظة عليه، وعلى المعرفة بأن الزمن سلاح ذو حدين، إن أهملته قطعك وقضى على حياتك، ويشير إلى الصبر والتأني في ظلال هذا الاهتمام، لأن الأشياء لا تأتي تلقائيا، إنما يكون جريها بالمواقيت والمواعيد المحددة لها، وبعدها تتحقق على ساحة الوجود.

من عاش رأى، ومن جالس الناس سمع منهم ما لم يكن يعرف، والطريقة الوحيدة إلى النتيجة الإيجابية الصبر والتأني. إن الزمن أشكال وألوان، منها ما يغضب ومنها ما يبكي، وقد نجد منها ما يضحك الأسنان ويُفرح القلوب، ومن عاش رأى ومن صبر أردك أن الأزمنة تتعاقب لتطمئن القلوب، وأدنى دليل على ذلك، هي الأوراق التي كتبها الشهيد مروان، وبالتحديد الورقة الرابعة، "ها قد عشت لترى زمانا آخر كنت تحسب أنه لن يجيء، فلقد أفرغ منك الحزن حتى عدت لا تذكر شيئا تحزن عليه... يا خال... عندهم دائما ما يحطم في حياتك مسارها الرائق رغم صخبها" (قاسم، عمان ورد أخير، 132: 2010م) هكذا صنع الزمان ببطلنا في رواية "عمان ورد أخير" إنه قوة الزمن وديمومته وسيطرته على الكائنات الحية وغيرها.

يلاحظ الباحث أن الزمن في رواية "عمان ورد أخير" لم يتم سرده بالطريقة التاريخية المعهودة عليها، بل يفهم زمنها من خلال علاقة البطل بالأحداث، ومن خلال علاقة البطل بالمكان وبالمجتمع الذي يعيش فيه، ويتطور الزمن بتطور الأفعال والأحداث. ويكشف زمن الرواية ظلم الأقوياء للضعفاء، ذلك الظلم الذي يعاني منه الضعيف، فيدعو من ينجيه، ولا يجد نصيرا ولا ثبورا. كما أُكتشف للباحث خلال هذا السير الزمني أنه لا بد من الصبر مع سير الزمن، ومن المستحسن تزويد هذا الصبر بالعمل تجاه الأهداف، كما قام به شخصية "أحمد" الذي لم يقعد أمام تلك العصوبات والضغوطات الاجتماعية، إلا أن الأحداث كانت تتحول من سيء إلى الأسوأ. وقد يعصب تحديد زمنها بالذات لأن "الزمن يوجد منفصلا عن زمنيته" (ألان، ت، إبراهيم، 137: 1971م) فنبحث عنه في تحركات الأحداث وسيرها.

اتضح للباحث بعد هذه الجولة أن الزمن الطبيعي جِبلي وموضوعي يقاس بإحساس، بينما الزمن النفسي ذاتي ومقياسه شعوري يختلف من شخص إلى آخر. كما توصل إلى أن الزمن الطبيعي لا يمكن التأثر فيه، بينما يتم التأثير في الزمن النفسي حسب شعور الشخصيات، فليل المريض يختلف حتما من ليل عاشق، ونهار الصائم ليس كنهار المفطر الذي لا يتوقف عن القاء نظرات على ساعته اليدوية. فدراسة الزمن في روايات قاسم توفيق تظهر مدى معاناة شخصيات الرواية، الذين لعب بهم الزمن وتوقف عن الجري في لحظات كثيرة. أين الأغنياء ليساعدوا الفقراء، وأين محافظو السلام مدّعوه، ليجبروه على مجتمع يتقاتل شعبه. إن الوقوف على الزمن النفسي يبدي سيطرته على تقسيمات الزمن الطبيعي، ويكشف عن الظلم الذي يعاني منه النفس البشرية من كراهية وبغض وقتل ودمار.

## تقنية الاسترجاع (الارتداد)

تقنية الاسترجاع من أبرز تقانات السرد الروائي الحديثة، ويطلق عليها تقنية الارتداد أو تقنية الاستذكار، وتستخدم للحديث عن الماضي، وللوقوف على أخبار في زمن قد مضى وتولى، وفيه يرجع الراوي إلى تناول الحدث من زمن

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الثاني – البحث الثالث عشر ( ص: 229 - 253 ) 15 – أيار – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

الماضي "الاستذكار: وهو العودة إلى الوراء لاسترجاع فترة ماضية" (صالح، 2011،01،07م) والرواة في ذلك يلجؤون إلى طرق مختلفة ووسائل عديدة: منها أنه يقوم برواية الأحداث بفعل ماض. يعني بذلك أنه اطلع على تلك الأحداث في أيام ماضية. ومنها أنه يسترجع تلك الأخبار بناء على حدث أو واقعة يعيشها في وقته الحاضر، فيحكي الرواية بأسلوب السرد الذاتي، وقد يستخدم أسلوب السرد الموضوعي حيث يعرض الأحداث من خلفها، وهو (الراوي) في ذلك شاهد الموقف، فينقل للقارئ والمستمع.

وأروع تقنية استرجاع –حسب رأي الباحث- أن يتحول الراوي إلى مستمع، ويصبح شخصية من شخصيات الرواية هو الراوي، يحكي الرواية على الراوي الأساسي، بغية في ذلك التحفظ على تقنية سردية ابتدأ الراوي سرده بها، والمؤلف في ذلك "يستطيع أن يحسب الزمن وينظم تتابع الأحداث الزمانية من خلال موقع إحدى الشخصيات، وبذلك يتطابق زمن المؤلف مع التوقيت الذاتي للأحداث بالنسبة إلى شخصية معينة"[1] فينظم الأحداث ويرتبها على سيرة ذاتية للشخصية الرئيسة (البطل). إلا أن الباحث يرى أن هذا الأسلوب أحيانا يكون أقرب إلى سيرة ذاتية من كونها رواية تنبني على صراع متبادل بين الشخصيات، لأن في مثل هذه الأنماط يدور الحدث حول الراوي الثاني الذي يحكي الرواية على الراوي الأساسي المركزي.

السرد استذكار واسترجاع، لأن الحكاية في أصلها مبنية على ماض يُذكر في حاضر، والأحداث في ذاتها مخزونة في ذاكرة الراوي يسردها للقارئ والمستمع، فهو (الراوي العليم بكل شيء) يعرض الوقائع من خلف ذهنه، لأنه قد سبق للسارد أن عاش في ماضيه ما يقصه أو يرويه في الحاضر، وإن لم يعشه هو بالذات فقد عاشه شخصية من الشخصيات الذي تم التواصل بينهما فحصل على الحكاية منه. فالسرد عند الكلاسيكيين تناول أحداث تم وقوعها في الماضي، كما أشار إليه بوريس في كتابه شعرية التأليف، (76:1999) أن "في المتن الروائي الكلاسيكي يكون السرد دائما لاحقا بالنسبة للقصة المسرودة" (برنار،78:1999م) غير أن هذا المفهوم يختلف عن مفهوم تقنية الاسترجاع الحديثة لدى النقاد المعاصرين، الذين يطلقون عليها "الارتداد" أحيانا، وتارة سموها بالاستذكار، ويعنون بها قيام الراوي بملء فجوة خلال السرد الروائي تركها في السابق من دون ذكر، فيتناولها في الحاضر لتتضح صورة للقارئ والمستمع.

لعلنا نشير هنا إلى الارتداد إذا حاولنا الوقوف على مفهومه الزمني بأنه عبارة عن "مفارقة زمنية تعيدنا إلى الماضي بالنسبة للحظة الراهنة، استعادة لواقعة أو وقائع حدثت قبل اللحظة الراهنة أو اللحظة التي يتوقف فيها القص الزمني لمسافة من الأحداث ليدع النطاق لعملية الاسترجاع" (جير، 25: 2003م) وقد يتم النظر في الفارق الزمني، الذي قد يطلق عليه بعيد المدى وقصير المدى، فالاسترجاع البعيد المدى، هو الذي يرجع زمن وقوعه إلى وقت بعيد، وقع قبل سرد المتن الروائي، بينما القصير المدى يرجع إلى زمن لم يطل. وقد يُلاحظ في الاسترجاع الأحداث التي تناولها الراوي، ومتى تناولها، فإذا كان تاريخ هذه الأحداث يرجع إلى قص زمني، وقع قبل بداية السرد الروائي فإنه يُعرف بالاسترجاع الخارجي، وعكسه أي إذا كانت الأحداث داخل السرد الروائي أطلقنا عليه السرد الداخلي.

ولقد أطلق دكتور مراد عبد الرحمن (24: 1998م) عليه (الاسترجاع) السوابق الزمنية "ويعني بها تداعي الأحداث الماضية التي سبق حدوثها لحظة السرد، واسترجاعها الراوي في الزمن الحاضر (نقطة الصفر) أو في اللحظة الآتية للسرد" وإذا كان الدكتور مراد أطلق على تقنية الاسترجاع السوابق الزمنية، فإنها معروفة في الرواية المعاصرة

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الثاني – البحث الثالث عشر ( ص: 229 - 253 ) 15 – أيار – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

بتقنية الاسترجاع أو تقنية الارتداد، كما يطلق عليها تقنية الاستذكار. وهي تقنية سينمائية حديثة، كانت تخص المونتاج السينمائي، إلا أن الرواة رأوا فيها ضالتهم، حيث تُسهم على الحديث عن الماضي في الحاضر. وللعلم فإن لتقنية الاسترجاع أنواعا مختلفة؛ منها على سبيل المثال على سبيل الحصر الاسترجاع الداخلي، والاسترجاع الخارجي، والاسترجاع المزدوج.

وسيتناول الباحث نوعين من ضمن الأنواع المختلفة من أنواع الاسترجاع؛ وهما الاسترجاع الخارجي والاسترجاع الداخلين، وللعلم فإن "الاسترجاع الخارجي: هو الذي يعود إلى ما قبل بداية الرواية" وفيه تقوم الراوي باستذكار حدث وقع قبل بداية الأحداث الروائية، بينما "يعود الاسترجاع الداخلي إلى ماض لاحق لبداية الرواية قد تأخر تقديمه في النص" (سيزا قاسم، 58: 1984م) والفرق أن الأول يكون خارج الحكاية، بينما يكون الثاني لملء فجوة تم القفز عليه سابقا، وقد يكون للتعريف عن شخصية رواية.

**الاسترجاع الخارجي عند قاسم**

من خلال تصفح الباحث لروايات الكاتب قاسم توفيق، أدرك أن تطلعا إلى الماضي في الصفحات الأولى من رواية "ماري روز تعبر مدينة الشمس" لقاسم توفيق. ولقد سبق ذكره أن تقنية الاسترجاع عبارة عن ارتداد الراوي مظهرا أو موقفا سابقا في اللحظة الراهنة، لأغراض منها: توضيح أمر مبهم، أو التعريف بشخصية وتوضيح ماضيه وبيان موقفه من الأحداث التي يرويها للمستمع أو القارئ. يوضح المظهر تحت عنوان رواية ماري روز "الفصل الأول (الميلاد)" استذكار الراوي واسترجاعه ماضيه ووقت طفولته، وبالتحديد يوم ولادته.

وصف الراوي مظهر ولادته مستخدما تقنية الاسترجاع للحديث عن ذلك اليوم العظيم الذي سجله التاريخ في حياته، ذلك اليوم الذي كان سببًا له في رؤيته للشمس، مواصِفا للقارئ والمستمع جمال ذلك اليوم "ليلة باردة ماطرة، وسيارة أصابها العطل وقفت بين القرية ومستشفى المدينة، وأنا في عالم صغير مظلم يحتويني بكل عظمته أنتظر أن أخرج منه إلى الحياة. أذكر أو لا أذكر ... كنت جنيا يودع خطوته الأخيرة في عالم التكوين في بطن من اللحم اللزج الدافئ. ويمد بصره الصغير الضيق إلى النور"(قاسم، ماري روز تعبر، 7: 2010م) في نص الراوي جدلية الزمن وصراع الاستذكار الذي يحاول الراوي استرجاعه.

أذكر/ لا أذكر

أذكر= الذاكرة / البالغ / + العقل / الحدث / الماضي

لا أذكر = الذاكرة / الطفل / -العقل / الحدث / الماضي

جاء التردد (أذكر أو لا أذكر) لكون السرد ذاتيا، لذا ترى السارد يتردد لَمّا علم أن القارئ سيتعجب من أسلوبه، متسائلا كيف تعرفت أيّها السارد على ما حدث يوم ولادتك؟ فالسارد بين الواقع والخيال. فكلمته أذكر ... تذكير حدث يتطلب ذاكرة، وهذه الذاكرة التي تخزن الأحداث تتطلب العقل، وهذا العقل الذي يقوم بالاسترجاع يلتزم البلوغ، فالطفل لا يذكر ما حدث في طفولته، سيما يوم ولادته، وادعاء الراوي أنه يذكر يوم ولادته وقيامه بوصفه يُلزم الشك والريب. وكلمة لا أذكر ... موجّهة إلى ذلك القارئ الذي يقول للسارد كيف تذكر؟ إنك والله لا تذكر ... والسارد يجيب: إني أذكر... ويواصل الراوي في نقله للأحداث ليؤكد للقارئ أنه يذكر ذلك اليوم الماطر.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الثاني – البحث الثالث عشر ( ص: 229 - 253 )
15 – أيار – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

ورد الاسترجاع في الصفحات الأولى لرواية ماري روز خارجيا، لأن ميلاد الراوي قبل بداية الرواية وأحداثها التي لأجلها نسجت الرواية، ولكن للراوي فيه (الاسترجاع الخارجي) غرضا، يسعى لزرعه في ذهن القارئ والمستمع الذي يظهر في المقطع التالي "أذكر أن ذلك الرجل الأسمر أبي دخل المستشفى غارقا بالطين، وبكى فرحا عندما بشر بالمولود الجديد، وأني في اليوم الثاني صرت طعما حلوا لأفواه أولاد الحارة في القرية، وصرت زغاريد النساء الفرحات بقدومي. أذكر كل ذلك أو لا أذكر" (قاسم، ماري روز تعبر، 7: 2010م) في هذا الاسترجاع يصف لنا الراوي أباه، وكيف كان غارقا بالطين، وبهذا الوصف يظهر لنا الراوي المستوى الذي ينتمي إليه أبوه، إذ نجد أن الأب لم يأت إلى المستشفى بسيارة، ولا من مكتب لابسا بذلة، بل جاء والطين قد ترك أثرا في ثيابه.

من خلال تقنية الاسترجاع الخارجي في رواية ماري روز، تطلع الراوي من نافذة ماضيه بين الشك واليقين في كل ما حدث يوم ولادته، بداية من كونه جنينا في بطن أمه، وحضور السيارة بالأم إلى المستشفى، إلى أن أتى الأب وقد رأى (الراوي) نور الشمس. نقل السارد كل هذه الأحداث مترددا، ليثبت شيئا واحدا، ألا وهو حبه لتلك الفتاة "أما يا سيدتي فإنّ ما أذكره تماما، كما أحس كلماتي هذه أني أعلنت يومها أني أحبك دائما" (قاسم، 7: 2010م) هنا مربط الفرس، هنا يظهر الراوي غرضه في استذكاره لهذه الأحداث، حبه وعلاقته بحبيبته، هذا الحب الذي قد يجده البعض مستحيلا. فمع أن الاسترجاع بعيد المدى، في كونه يرجع إلى سنوات عديدة، وإلى أيام الصبا للراوي. إنه الحب، إنه العشق، لقد ولد الراوي وهو يعشق تلك الفتاة، ومن يتدخل في حب بدأ في زمن الصبا.

**الاسترجاع الخاريجي بين الخيال والواقع**

يتكرر السناريو نفسه في رواية "أرض أكثر جمالا"، يقع الاسترجاع قبل بداية الرواية، الأسلوب المعروف بالاسترجاع الخارجي.

رواية "ماري روز تعبر مدينة الشمس": استرجاع / خارجي = ميلاد / يوم / مطر / برودة/ ظلام/ الوالد

رواية "أرض أكثر جمالا": استرجاع / خارجي = ميلاد / يوم / شتاء / مطر / برودة / (كثرة + شهر) الوالد

في اللوحة أعلاه، يظهر الباحث وجه الشبه الذي بين الروايتين، حيث نجد أن سيناريو الاسترجاع في رواية ماري روز يتكرر في رواية أرض أكثر جمالا. الأمر الذي جعلنا نفكر أن قصة الميلاد حقيقة، وهو يوم ميلاد الكاتب، أو الروائي قاسم توفيق. ولعلنا نوضح أكثر لو تناولنا شيئا من رواية أرض أكثر جمالا.

الاسترجاع في رواية "أرض أكثر جمالا" خارجي، وفي نفس الوقت بعيد المدى، خارجي لكونه يعود إلى وقع قبل بداية الرواية، وبعيد المدى حيث يرجع زمنه إلى وقت بعيد وممتد جدا. والتاريخ فيه يوافق تقريبا ميلاد الكاتب والمؤلف. الشيء الذي يجعلنا نقول إنه حياة الكاتب.

ويعود جمال تقنية الاسترجاع في رواية أرض أكثر جمالا، في قدرة الراوي في المزج بين الأسطورة والواقع، وفي حسن وصفه يوم ميلاده، وما وقع في ذلك اليوم من أمور. إلى جانب ذلك كله، براعة السارد في نقله ما كان يحدث في ذلك الوقت الذي يرجع إلى الخمسينات "يوم ولدت .. كان الشتاء قد عاد بعد انحباس طويل، الآن ونحن ندرس في الكتب يقولون لنا في درس الجغرافيا إن أوائل الخمسينات من هذا القرن كانت ممحلة، لا بد أنه بعد هذا المحل والانحباس عاد المطر وكان غزيرا يغطي كل حارات الأردن وجبالها وطرقها" (قاسم، 7: 2010م) الاسترجاع في "يوم ولدت" حيث بدأ الراوي يصف لنا اليوم الذي ولد فيه. لجأ السارد في هذه الرواية إلى طريقة

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الثاني – البحث الثالث عشر ( ص: 229 - 253 )
15 – أيار – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

تشبه النهج المتبع في رواية "ماري روز تعبر مدينة الشمس" وإن كان بين الأسلوبين فرقا يسيرا، إلا أن أوجه التوافق تجعل القارئ أو المستمع يظن أن هذه الصفات تخص الراوي أو تخص حياة المؤلف.

أسلوب الراوي في كلتي الروايتين ذاتي، ولا يزال السارد يتردد، وها هو بين الشك واليقين، كأنه يراقب القارئ الذي يتصفح رواياته، فنراه يستخدم كلمات، ينفي بها الزعم "لا أزعم أن يوم مولدي كان إيذانا لهذا المطر، لكني جئت معه سبقني بضعة أيام أو أسابيع لا فرق. أقسمت أنه لم ينقطع شهرا كاملا، وأبي تذكر وكأن الأمر حدث منذ قرن وقال: كان مطر يحفر الأنهار، ويحرك الجبال ... منذ أسابيع وأنا أحاول البحث عن مخرج، قلبت رأسي، دفعت قدميّ بقوة أسفل معدة أمي، قاومت بيديّ لكني كنت أتعب" (قاسم، أرض أكثر جمالا، 7: 2010م) اتسع زمن الاسترجاع في النص. ولقد استحضر الراوي أباه لتأييد ما يقول، وبتدخل من الأب طفق الراوي يجعل الرواية تمتد إلى وقت أبعد، فجعل ثلاثين سنة يقارب قرنا.

إن الغرض من الاسترجاع في رواية أرض أكثر جمالا، يظهر في إرادة الراوي سطح الضوء على أحوالهم الاجتماعية وقت ولادته، فأسند الحديث إلى العجائز اللواتي حضرن وشاهدن يوم ولادته. فمع أن السارد تناول الحكاية بأسلوب السرد الذاتي، ذي النمط العاطفي. تحت المنولوج الداخلي في أحاسيس أولئك العجائز. زمن طويل في دمار وهلاك، وجوع وعطش "ثلاثون عاماً مع الخسارة انقضت... زمان طويل عمر كامل كانت تردده العجائز للتحدث عن توريخ قديمة قِدم الإنسان، كنّ يقلن: تلك السنة كان رطل اللحم بقرش واحد، ثم يستطردن: كان القرش قرشا" (قاسم، أرض أكثر جمالا، 7: 2010م) تم استخدام تقنية الاسترجاع في المقطع، لإظهار مجتمع الراوي الفاسد، وإذا كان الراوي يتناول يوم ولادته، فكيف له أن يتناول أحداثا وقعت قبل ولادته.

يرجع زمن الاسترجاع في الرواية إلى الخمسينات، وكلام العجائز أداة تستخدم للمقارنة بين الفترتين خلال الاسترجاع في الروايتين. ففي الاسترجاع حجة على تيسير الحال في ذلك الوقت (الزمن الماضي)، حيث كان رطل اللحم بقرش واحد، وهو كذلك دليل على سوء الوضع الذي يعيشه الراوي منذ زمن بعيد. الفساد العام خلال الزمن الطبيعي الذي تمدد.طوله، وطال مكثه، جعل السارد يتمرد على النظم الاجتماعية، وعلى حكم نظام البلد. في الاسترجاع الخارجي لرواية "ماري روز تعبر مدينة الشمس "رسالة إلى أصحاب قلوب ذات الكراهية، وإلى المتسائلين لم تحب فتاة لا تدين بدينك؟ ألا تعلم أنها تؤمن أن لله ابنا؟ يقول الراوي في تمهيده إن هذا الحب متبادل، وهو (حبه لتلك الفتاة) جزء منه، حيث شعر به منذ يوم ولادته. وفي الاسترجاع لرواية أرض أكثر جمالا – كما سبق ذكره – مبررات لمطالبة الحقوق التي ضاعت منذ زمن ولادة الراوي، ليصبح الراوي عضوا من الثوار لمطالبة تلك الحقوق.

### الاسترجاع الداخلي عند قاسم

بعد تناول الاسترجاع الخارجي عند قاسم توفيق، سيتطرق الباحث في هذا المقطع إلى تناول الاسترجاع الداخلي. ومن المعروف أن الاسترجاع الخارجي هو استذكار ماض يعود زمنه قبل بداية الرواية (سيزا قاسم، 58: 1984م) فإن الاسترجاع الداخلي يوافق الأول من حيث استذكار الماضي، إلا أن الاختلاف بينهما يتمثل في كون الثاني يعود إلى ماض قد تأخر ذكره في متن السرد الروائي. وخلاله يحاول الراوي التعريف بشخصية من الشخوص الروائية، جُهل ماضيه، فلم يتطرق إلى ذلك الجانب المجهول خلال الحديث عنه، أو هو (تلك الشخصية) كان يخفي ذلك الجانب، إما لسواده، أو خوفه على نفسه إن كشف عنه. فيعود السارد إلى تناول ذلك الماضي واسترجاعه، ليوضح الحقيقة التي لم يكن القارئ أو المستمع يعرفه. كما قد يكون الغرض من الاسترجاع تبرير جريمة ارتكبها شخص

من الشخصيات الروائية، فيأتي الاسترجاع الداخلي ليظهر براءة الشخصية المتهمة –كما يحدث في الروايات البوليسية، وغيرها من الروايات الواقعية الحديثة التي تسير على النهج سينما الحديث.

وللكاتب قاسم توفيق بصمة في تقنية الاسترجاع الداخلي، كما يتضح لنا في روايته البوكس "لم يكن قد بلغ السابعة عشرة من عمره عندما رأى مثل هذا المكان أول مرة، كانت أمامه مهمة يجب أن ينجزها بدقة وبحذر، وكان مطلوبا منه أن يلتزم الصمت فلا ينطق بأية كلمة مع أحد عدا الشخص الذي أرسله إليه معلمه محروس لتسليم طرد صغير لم يكن يعرف ما يحتويه آنذاك" (قاسم، البوكس، 22: 2014م) الاسترجاع داخلي لحياة أحمد البوكس الذي تم استئجاره في مقهى محروس كموظف ومراقب لمحررس نفسه. أتت تقنية الاسترجاع في المقطع لبيان ماض لحياة أحمد الذي بدأ يعمل في المقهى. فبعد الوصايا السبع التي ذكرها صاحب المقهى، بل كان يمليها ويكررها على أذن أحمد كل ليلة، قد يتخيل للقارئ أن أحمد البوكس جديد في مثل هذه الأماكن (حانة)، وأنه لا خبرة في البار وعلم له بنظام العمل فيه. لذا جاء الاسترجاع ليوضح حقيقة أحمد وبين هويته وماضيه.

يتوضح براعة السارد في رواية البوكس لقاسم توفيق في استخدامه لتقنية الاسترجاع الداخلي، التي تكبر وتتطور لدى الراوي. كما هي الحال في الروايات المعاصرة التي تدمج الماضي في الحاضر، وترجع إلى الماضي في الحاضر حتى لا تكون الرواية على نهج تلك الروايات التاريخية. فالرواية المعاصرة تظهر جوهر وجودنا وتشير إلى "أنها امتداد للماضي في الحاضر وصيرورتهما معا، شيئا واحدا. إنها ديمومة لا رجعة فيها تحفظ في ثناياها ماضيا غير منقسم يكبر كنبتة سحرية تجدد خلق نفسها في كل لحظة، ويستمر بالتراكم فوق بعضه حاملا عنصر بقائه في ذاته، مالكا قدرة آليه على الاحتفاظ بنفسه" (سمير ، 77: 1980م) فالاسترجاع في رواية البوكس صانع جمال السرد والحكاية بإدخال الماضي في الحاضر والمزج بينهما. بداية الرواية مبهمة من حيث عدم إبراز الراوي هوية أحمد البوكس، ذلك البطل الشجاع الذي فقد أمه "أخبره صديق له أن أمه قد ماتت" (قاسم ، 11: 2014م) جاء هذا الإخبار في الصفحة الحادي عشر، من دون أي تعريف سابق بالبطل، ومن دون أدنى وقوف على شخصية البطل، بل بادر الراوي إلى تناول الضغوطات النفسية التي كان البطل أحمد يعاني منها.

لقد رجع أحمد البوكس إلى حارته بعد وفاة أمه، كما تناوله الراوي في الصفحة الحادي عشر من رواية البوكس، وبعد ذلك تطرق مسترجعا إلى أن أحمد سبق له أن زار مثل هذا المكان (البار) قبل بلوغه السابعة عشرة من عمره، عندئذ قد يتساءل القارئ عن حقيقة أحمد البوكس، من هو؟ وكيف كانت طفولته؟ من أبوه وأمه؟ في هذا الجو الساخن بجريمة البوكس، الذي أجبره المجتمع على فعل المنكرات شريطة الحصول على قوت يومه، وبذلك الدخل الشهري كان يساعد أمه وإخوته. أشار الراوي في الصفحة الخامسة وأربعون إلى حلم هذا الشاب بين بني قومه في حارته قبل أن تحوّله شدة العيش إلى نمر يفترس الأغنياء وغيرهم لوقاية الجوع.

التلميذ: موضوع في الصفحة الخامسة وخمسون من رواية البوكس، تحته يحكي الراوي الطفولة التي عاشها بطلنا الذي فشل بالدراسة منذ صغره في المرحلة الابتدائية "فشل أحمد بالدراسة حتى إنه وصل الصف السادس الابتدائي دون أن يتعلم فك الحرف بسهولة ودون عناء، ابتدأ يتهجى الأحرف من الصف الأول وترك المدرسة دون رجعة بعد ست سنوات من الدراسة ليتركها وهو ما يزال يتهجى الأحرف والكلمات"(قاسم، البوكس، 55: 2014م) رسالة إلى من يلوم أحمد فيما يفعل. أ لم يكن لمجتمعه يد في فشله؟ من الصف الأول إلى الصف السادس الابتدائي دون أن يميز بين الأحرف الهجائية، ودون أن يقدر على قراءة صحيفة. ففي أي دنيا كان يعيش؟

الغرض من استخدام الراوي هذه التقنية (تقنية الاسترجاع) بيان ما قام به المجتمع من مشاركة في فشل أحمد البوكس. رجع الراوي ليعرفنا على أبيه الذي كان يعمل حارسا ليليا، وليتناول الحديث عن تلك الأم التي لم

تكن لها علم ولا دراية بالتعليم وفوائده "أبوه كان يعمل حارسا ليليا في مصنع، يرجع إلى البيت في الصباح لينام حتى المغرب، وأمه سماح الجميلة أو على الأقل هذا ما كانت عليه في الماضي وما تشي به ملامح وجهها الأبيض وعينيها السوداوين الواسعتين، وشعرها الطويل لم تكن تؤمن أن الدراسة تطعم خبزا، فالولد حر بما يريد أن يكون عليه، المهم ألا يكون ضعيفا أو متشبها بالنساء" (قاسم، البوكس، 55: 2014م) هنا أب لا يمتك وقتا لنفسه ولا لأبنائه، يغادر قبيل غروب الشمس، ويرجع بعيد شروقها، يسهر حارسا، يرجع إلى بيته والنعاس قد أخذ منه منصبا عظيما. هذا الأب الذي كان يرجو أن يرى ابنه يوما قد كبر واستفاد من التعليم، وكان يرغب أن يكون لابنه حارسا، ولكن كيف له الحصول إلى ذلك، في مجتمع يرث الأبناء آباءهم، يترعرع أبناء الأغنياء في رفاهية وترف، ليكبروا ويرأسوا أبناء الفقراء، وكيف يسود ابن أبي أحمد في بيئة يتولى شخص على ممتلكات جميع بني بشره، ليعيش ملكا جبارا في ريب وخوف.

كان أحمد ابن حارس ليلي، لم يكن أبوه يأبه بدراسته، بل لم يكن يعرف الكثير عن التعليم المعاصر، وزوجته لم تكن أفضل منه، حيث كانت تؤمن أن المستقبل أمر إلهي لا دخل للإنسان في تخطيطه. إضافة إلى حال الأبوين نتناول دور المجتمع في بناء حياة أحمد حسب تصوير الراوي "لم يكن يسأله أحد عن دروسه ولا حتى إن كان يذهب في الصباح إلى المدرسة أم إلى الكسارات الوكر المنفتح على الشمس الذي يختبئ به الأولاد الفارون من الدروس حتى الظهر، ليرجعوا إلى بيوتهم دون أن يلفت نظر أحد سمرتهم التي زادتها الشمس، وشفاههم المتشققة اليابسة من الظمأ"(قاسم، البوكس، 55: 2014م) لا يخفى على واحد منا أن من شروط النجاح في الدراسة المعاصرة المواظبة على الحضور، واحترام اللوائح التعليمية، وهذا أحمد يعيش في مجتمع شارك في فشله، وأصبح في المستقبل وبالا عليهم.

تم استخدام تقنية الاسترجاع الداخلي في رواية البوكس في عرض يشبه مونتاجا سينمائيا، فبعد أن بدأ القارئ يتساءل عن ماضي أحمد، وعن كيف وأين حصل على هذه المهارة والذكاء خلال العمل مع سيده صاحب الملهى الليلي الذي كان أحمد يناديه معلم، رجع إلى طفولة البوكس ليخبر القارئ والمرسل إليه أن أحمد ضحية مجتمع وبيئة إلى إهمال والديه الذين كانا لا يهمهما مستقبل أحمد، بل كانا لا يعرفان الكثير عن التعليم المعاصر. إضافة إلى ساد النظام التربوي حيث وصل البوكس إلى الصف السادس الابتدائي ولم يكن يجيد حتى القراءة، السبب الذي جعل الأب يأخذه إلى مقهى المحروس. ذلك المقهى الذي كان يضرب مثلا في سوء الخاتمة لكل صبي أو غلام لا يستمع إلى أبويه "أنت آخرتك في مقهى محروس" (قاسم، البوكس، 59: 2014م) يعود فشل البوكس في الحياة بعد فشله في الدراسة إلى جميع أبناء مجتمعه الذين كانوا يرونه سلك طريقا أعوج دون أن يكلموه ودون أن يمدوا إليه يد المعونة بالنصائح.

التسلسل أدناه لتوضيح ماضي أحمد البوكس الذي أثر على مستقبله، وكيف تناوله الراوي بتقنية الاسترجاع

أحمد بعد البلوغ: ملاكم / موظف / مقهى محروس/ فتيات / شرب خمر/ ملهى

أحمد في الطفولة: طفل / بريء / يعيش / في / مجتمع / اللامبالاة / فشل / الابتدائية

يتضح في التسلسل أعلاه، أن من قضى صباه يعيش في مجتمع لا يأبه فيه أحد بدراسته وليس له قريب يراقب تصرفاته، ويحافظ على مستقبله، كان من الحتم مصيره إلى ما صار إليه أحمد البوكس. فكيف يُلام أحمد اليوم لأجل الجرائم التي يرتكبها، ويشتكي منه أبناء المجتمع، مع أنهم شاركوا جميعا في فشله، وكان لهم نصيب في الجحيم الذي عاشه في طفولته التي لم يكن له يد ولا دراية بها، بل أجبل عليها.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد التاسع – العدد الثاني – البحث الثالث عشر ( ص: 229 - 253 )
15 – أيار – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

ويلاحظ الباحث خلال دراسته لتقنية الاسترجاع في هذه الروايات، أن للماضي أثراً في حياة الشخصية، إما سلبياً أو إيجابياً. وفيما يتعلق بالماضي واستحضاره في الحاضر والمزج بينه وبين الحاضر أشار فولكنر إلى "أن الحاضر يتلاشى في الماضي، وأن ما هو كائن الآن هو ما كان في الماضي. وفي هذه الحالة، لم يكن الماضي مجرد استحضار، بل ضغط مستمر على الحاضر، ضغط ما كان على ما هو كائن" (مجموعة من النقاد، 58: 1989م) ويبقى هذا الماضي ملتصقا بحياة الفرد.طيلة وجوده، كما يبقى أثره في أفعاله وأحداثه اليومية. ومعرفة هذا الماضي تساهم في معرفة المشكلة التي تواجه الفرد أو الشخص، أو في معرفة ما يمر به الشخص.

ومن أهداف تقانة الاسترجاع أنها تساعد في اكتشاف علاقة الرواية مع المجتمع. إن الرواية "تساهم في اكتشاف حياتنا النفسية العميقة، وتشهد على الصراعات الفردية أو الجماعية ضد الألم والحتمية الاقتصادية والإخضاع السياسي والموت. تطالب الرواية بحق الحياة والحرية والفكر. إن للرواية في عصرنا نزعة ميتافيزيقية على الأرجح" (ويلي، 9: 1988م) وتقنية الاسترجاع من أهم التقنيات التي تساعد في اكتشاف الوسائل التي سلكها الشخصية للقيام بنزعة من النزعات الكونية، ومعرفة دورها في أي من تلك النزعات.

## تقنية الاستباق

بخلاف تقنية الاسترجاع التي تروي عن الماضي، وتتناول أشياء ووقائع مخزونة في ذهن شخصية من شخوص الرواية (السارد)، فإن تقنية الاستباق أو تقنية الاستشراف تُصوّر ظاهرة لم تحدث بعد، بمعنى أنها تقوم بتصوير المستقبل ونقله على القرطاس ليطلع عليه القارئ، وكثيرا ما يكون السارد فيه يتمنى تلك الأحداث، أو يشير إلى وقوعها بناء على الأحداث الجارية في زمنه الحاضر، فيعرض الأحداث في المستقبل كنتيجة الأفعال الحاضرة التي يعيشها الآن في زمنه. مثلا: الثورة نتيجة الفساد العام، والبلطجية نتيجة الجوع الطاغي؛ ذلك الجوع الذي يدمر الفقراء، في حين يعيش الأغنياء في رفاهية، ويتناولون ثلاثة وجبات يوميا، بينما يبقى الفقير فارغ البطن، كاشف الظهر. من هنا يمكن القول إن "الاستشراف هو التطلع إلى فترة مقبلة أو أحداث قادمة" (صالح، 2011،01،07م) والجدير بالذكر أن تقنية الاستذكار تتناول أمورا وأحداثا وقعت في الماضي، بينما تقنية الاستباق تشير إلى أشياء يمكن وقوعها في المستقبل. فالفرق بينهما أن الأولى وقعت فهي مخزنة في الأذهان فيتم استحضارها عند الحاجة، والثانية (الاستشراف) مجرد تصور لواقع نحلم ونرجو وقوعه، أو نتوقع وقوعه في وقت لاحق (جيرار، 1997م).

التطلع إلى ما لم يحدث من الوقائع، والقفز لتناولها بغية إعلام القارئ أو المتلقي، وقد يكون الغرض إرادة الراوي إعلام القارئ أنه يعلم أكثر من الشخصية، لذا يعني "القفز على فترة ما من زمن القصة وتجارز النقطة التي وصلها الخطاب لاستشراف مستقبل الأحداث والتطلع إلى ما سيحصل من مستجدات في الرواية" (حسن ، 132: 1990م) وتكمن أغراض هذه التقنية – كما تطرق إليه الباحث-في إرادة الراوي أن يخبر القارئ والمتلقي ما سيقع في المستقبل، فيقفز إلى الأمام ويسرع في سرد وقائع لم تحدث بعد.

قد يصعب الحصول على مقاطع في رواية تتناول أحداث تم سردها بتقنية الاستشراف أو بتقنية الاستباق، لأن الرواية عبارة عن سرد وقائع وقعت في الماضي، وبعبارة أخرى فالرواية عبارة عن نقل أحداث شخصيات في الحاضر واسترجاع الماضي لملء فجوات. وفي صدد هذا النقل نجد أن "الأمس يساوى العودة إلى الماضي، والغد القفز إلى الأمام" (ميشال، 100: 1982م) ويعرف وصف هذه العودة إلى الماضي في النقد الأدبي بتقنية الاسترجاع، بينما يعرف وصف القفز إلى الأمام بتقنية الاستباق أو الاستشراف. وفي رواية "أرض أكثر جمالا" للروائي قاسم توفيق، يخلق الراوي عالما جديدا، والمكتشف هو الراوي نفسه، يزور ذلك العالم في شكل غريب، هو الضيف المحبوب، يحبه الجميع، كل يرغب في تنقله وحلمه بين يديه. وعنه سرد الراوي بتقنية الاسترجاع "كنت أحس

بهم وهم ينقلوني من مكان لآخر أو يقومون بخلع ملابسي لتبديلها، لكن لم أحاول الاستيقاظ طويلا كأني كنت أعرف أني عندما أكبر سأعاني من شيء اسمه الأرق قلت: إذا ليكن يا ولد، تزود بالنوم، فأيام السهر الطويلة قادمة" (قاسم، أرض أكثر جمالا، 9: 2010م) يلاحظ في الأسطر التفاتا إلى الماضي، إنه ارتداد إلى ماضي الراوي، وفي هذا الماضي تطلع إلى المستقبل، أو قفز إلى الحاضر، حيث نجد أن الراوي البطل يتوقع معاناته من الفقر الذي سيمنعه من النوم عندما يكبر، وسبب ذلك أنه ولد في بيت فقير، فالمحتمل في مجتمع مثل الذي يعيش فيه أبوه؛ ابن الفقير يكبر ويعيش في التعب والكد.

## أهم النتائج

لقد توصلت الدراسة خلال هذه الجولة البحثية العلمية إلى بعض النتائج، يمكن تلخيص أهمها في النقاط التالية:

عناية الكاتب قاسم توفيق عناية وصفية بالاستهلال السردي؛ حيث جعل لكل رواية من رواياته مقدمة وتمهيدا يلمح به إلى حقيقة حدثِ الرواية، ويطابق أسلوب ذلك الاستهلال السردي أسلوب السرد الروائي في تناوله للحدث. وقد لُوحظ أن جل تلك المقدمات تم سردها بأسلوب السرد الموضوعي. جعلها الكاتب الروائي قاسم توفيق تمهيدا للقارئ ليتخيل ما قد يرد في الرواية التي بين يديه.

تصوير الروائي للواقع المعاصر تصويرا سينمائيا وعرضه على خشبة الواقعية المعاصرة، ليطلع عليه القارئ والمتلقي، ويترك له (للقارئ أو المتلقي) الحرية في التفكير، من دون أن يفرض عليه رأيه ككاتب، أو رأي شخصية من الشخصيات الرئيسة الذي قد يحبذه الكاتب أو يميل إليه، بل تُلغَى حريةُ التعبير على غارب كل قارئ أو متلق، فإليه يرجع القرار والحكم.

براعة الكاتب في المزج بين اللغة الشعرية ولغة الشارع، حتى لا يكاد القارئ أن يفرق بين تلك اللغات، وتطرقه في بعض الأحايين إلى لغة أجنبية للإشارة إلى أن الجزيرة العربية اليوم تختلف عن تلك القرى المعروفة بتقاليدها القديمة، فلا بد من إعادة النظر في عاداتها ونسجها بقلم معاصر.

رغبة الكاتب –خلال سرده للأحداث الروائية-في معالجة القضايا الاجتماعية والسياسية في العالم العربي والإسلامي، وذلك بتناوله تلك القضايا السياسية والاجتماعية بطريقة أدبية واقعية، تجده يتناول جلها بأسلوب موضوعي، يروي من خلف الحدث، وبضمير الغائب، ليتمكن من إرسال أفكاره في حين، ومن نقد ما يخالفه من آراء في حين آخر.

السعي لغرس التعايش السلمي بين أفراد الأديان السماوية المتفرقة، حيث تناول قضايا دينية ذات أهمية ماسة، وحيث منح الحرية لمن قد يراه القراء مجرما أو عنصريا؛ منحه الحرية ليتناول الحديث بنفسه ويعبر عن مشاعره وواقعه الاجتماعي، وليبين للقارئ أو المتلقي ما الدافع الأساسي الذي يسوقه إلى ارتكاب تلك الجرائم.

استخدام الكاتب الجمل القصيرة والأسلوب المرن اللطيف عند الحوار الداخلي والحوار الخارجي، كما توصل الباحث أن ثمة فرقا يلاحظ بين لغة السرد ولغة الحوار، فلغة السرد أدبية رفيعة المستوى، في حين قد تضعف لغة الحوار التي تدور على أفواه العامة.

تبين خلال هذه الدراسة أن التفرقة في نمط العيش بين الطبقات من أسباب تفشي الجوع والفقر، فلامبالاة الغني بحال الفقير، وتركه في زاوية ليعيش مع عياله جحيم الجوع، وحرارة العطش، يزرع البغضاء في قلوب الفقراء ويمسح الرأفة من قلوب أبنائهم. فتتحول المجتمعات الإنسانية إلى غابات يفترس القوي فيها الضعيف.

توصل الباحث إلى أن بناء شخصية ناجحة مرتبط بالأم التي تقف خلفها في الصغر؛ حيث تلعب الأم دورا مهما في بناء مستقبل الفرد والشخصية، فإذا كانت مثقفة لعبت ثقافتها في بناء حياة ابنها، وكونها أمية غير مثقفة قد يؤدي إلى إهمال تربية أبنائها، أو إلى إهمال أمر تعليم الابن.

## التوصيات

يمكن الإشارة –بعد الوصول إلى هذه النتائج السالفة – إلى بعض توصيات تهم الرواة والراغبين في البحث في الروايات بصفة عامة وبالأخص في روايات قاسم توفيق. ومن أهم هذه التوصيات ما يلي:

- أضحت الرواية فنا ذا أهمية في العصر الحديث لما لها من واقعية، ولما تحتويها حكايات رائعة، تستمد أحداثها من الواقع، فتناولها بالدراسة تُعدّ إسهامًا في النداء لتحسين واقع المواطن، وروايات قاسم تعبر عن الواقع وتتحدث بلسان الفقراء والبؤساء.
- يحتاج الجانب اللغوي من روايات قاسم توفيق للدراسة والوقوف على مدى فصاحة محتواها، وتناول بنيتها اللغوية.
- تناول التسامح الديني، والتعايش السلمي من منظور سياسي بالدراسة والتحليل، حيث يتطرق الباحث إلى دراسة آراء الشخصيات، وبيان موقفه كناقد.
- وإلى الرواة، يرجى التنحي عن استخدام اللغة العامية، واللغات الأجنبية في الروايات، بدعوى التعبير عن الواقع، أو الواقعية، لأنها تفسد مستوى اللغة في الروايات على الأخص، وتخسف نور الأدب العربي على العموم.

## المراجع

ألان روب جريبة، **نحو رواية جديدة**، ت إبراهيم مصطفى إبراهيم، ط 1، (القاهرة: دار المعارف، 1971م)
أمير مطر، **دراسات في الفلسفة اليونانية**، د.ط، (القاهرة: دار الثقافة والنشر، 1980م)
إبراهيم العاتي، **الزمان في الفكر الإسلامي**، ط1، (بيروت لبنان: دار المنتخب العربي، 1993م)
إبراهيم جنداري، **الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا، حصريات مجلة الابتسامة**، ط 1، (دمشق: تموز طباعة ونشر والتوزيع، 2013م)
برنار فاليط، **النص الروائي تقنيات ومناهج**، تحقيق: رشيد بنحدو، د.ط، (المطبعة الأمرية، 1999م)
بشير بوبجيرة محمد، **بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري**، د.ط، (بيروت: دار الغرب للنشر والتوزيع، 2002م)
بوريس أوسبنسكي، **شعرية التأليف، بنية النص الفني وأنماط الشكل التأليفي**، ت سعيد الغانمي وناصر حلاوي، د.ط، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 1999م)
جير الد برنس، **المصطلح السردي**، ت عابد خازندار، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2003م)
جيرار جينيت، **خطاب الحكاية، بحث في المنهج**، ت مجموعة من النقاد، ط 2، (القاهرة: المشروع القومي للترجمة، 1997م)
حسن بحراوي، **بنية الشكل الروائي**، ط 1، (بيروت: المركز الثقافي العربي، 1990م)

حسيبة مصطفى، **المعجم الفلسفي**، ط 1، (الأردن – عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2009م)
سمير الحاج شاهين، **لحظة الأبدية دراسة الزمان في أدب القرن العشرين**، ط 1، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980م)
سيزا قاسم، **بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ**، د.ط، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م)
عبد الملك مرتاض، **في نظرية الرواية "بحث في تقنيات السرد"**، د.ط، (وهران: دار الغرب للنشر والتوزيع، 2005)
قاسم توفيق، **البوكس**، ط 2، (عمان الأردن: الأهلية للنشر والتوزيع، 2014م)
قاسم توفيق، **حانة فوق التراب**، ط 1، (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2015م)
قاسم توفيق، **عمان ورد أخيراً**، ط 2، (عمان: دار فضاءات للنشر والتوزيع، 2010م)
قاسم توفيق، **ماري روز تعبر مدينة الشمس**، ط 2، (الأردن: فضاءات للنشر والتوزيع، 2010م)
كريم زكي حسام الدين، **الزمان الدلالي**، ط 1، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1991م)
لطيف زيتون، **معجم مصطلحات نقد الرواية**، ط1، (بيروت، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون، 2003م)
ماهر حسني فهمي، **المذاهب الأدبية**، ط 1، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1962م)
مجموعة من النقاد، **دراسات في الرواية الأمريكية المعاصرة**، ت عنيد ثنوان رستم، ط 1، (بغداد: دار المأمون، 1989م)
محمد عبد الحسين الدعمي، **انتصار الزمن، د.ط، (**بغداد: دار آفاق عربية للصحافة، 1985م)
مراد عبد الرحمن مبروك، **بناء الزمن في الرواية المعاصرة رواية تيار الوعي نموذجا 1967 – 1994**، د.ط، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م)
مصطفى محمود، **في الحب والحياة**، ط 5، **(**القاهرة: دار المعارف، د ت)
مها حسن القصراوي، **الزمن في الرواية العربية**، ط 1، (عمان: دار الفارس للنشر والتوزيع، 2004م)
ميشال بوتور، **بحوث في الرواية الجديدة**، ت، فريد أنطونيوس، ط 2، (بيروت: منشورات عويدات، بارس، 1982م)
هانز ميرهوف، **الزمن في الأدب**، ت أسعد رزوق، د.ط، (القاهرة: مؤسسة فرانكلين للطباعة، 1972م)
ويلي بورزوف، **مدخل إلى عالم الرواية**، ت محمد أحمد الصاحب، د.ط، (الدار البيضاء، المغرب: دار الفرقان للنشر الحديث، 1988م)

Blooms Bury, Easier English Intermediate Dictionary, (Second Edition, 38 Soho square, London, 2004)
P.Commelin, mythologie greque ET romaine. (ED, illustree de nombreuse Reproduction, ED, garnier, Paris, 1987)
Prof, Les white, Love Talk Sing Read Play, Lynn Garlick, (Sydney, Development project, 2006)
Oxford dictionary of English, second Edition, oxford university Press, (New York, 2010)
Terry Eagleton, the meaning of life, oxford university press, (Oxford New York, first published 2017)